T.C.

TOKAT GAZİ OSMANPAŞA ÜNİVERSİTESİ LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ

TEZİN ADI

مفهوم الاعتصام في تفاسير الدّراية والإشارة دراسة تحليليَّة مقارنة

(Dirayet Tefsirlerinde ve İşari Tefsirlerde "İ'tisam" Kavramının Mukayeseli Analitik İncelemesi)

Hazırlayan

SAMAN SADEQ SMAIL

Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı

Yüksek Lisans Tezi

Danışman

DOÇ.DR.ENVER BAYRAM

TOKAT – 2022

T.C.

TOKAT GAZİ OSMANPAŞA ÜNİVERSİTESİ LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ

TEZİN ADI

مفهوم الاعتصام في تفاسير الدّراية والإشارة دراسة تحليلية مقارنة

(Dirayet Tefsirlerinde ve İşari Tefsirlerde "İ'tisam" Kavramının Mukayeseli Analitik İncelemesi)

Hazırlayan

SAMAN SADEQ SMAIL

Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı

Yüksek Lisans Tezi

Danışman

DOÇ.DR.ENVER BAYRAM

TOKAT – 2022

BİLİMSEL ETİK SAYFASI

Tokat Gaziosmanpaşa üniversitesi lisansüstü enstitüsü tez yazım kılavuzuna göre "DOÇ. DR. Enver BAYRAM" danışmanlığında hazırlamış olduğum (Dirayet Tefsirlerinde ve İşari Tefsirlerde "İ'tisam" Kavramının Mukayeseli Analitik İncelemesi) adlı yüksek lisans tezimin bilimsel etik değerlere ve kurallara uygun, özgün bir çalışma olduğunu, aksinin tespit edilmesi halinde her türlü yasal yaptırımı kabul edeceğimi beyan ederim.

Hazırlayan:
İmza:
Tarih: / /

الإهداء

إلى كل من رفع راية العلم وسار تحت لوائه إجلالاً وإكباراً.

إلى من أدين لهما الوفاء والأيادي أبوي العزيزين حقاً واحتراماً.

إلى المشرف العزيز والأستاذ الفاضل الدكتور (أنور بيرم) بدايةً وختاماً.

إلى إخواني وأخواتي شكراً وعرفاناً.

أهدي هذا الجهد المتواضع.

شكرٌ وعرفان

أقدم بالغ شكري وعرفاني لكل من ساعدني على كتابة هذه الرسالة.

وخاصة مشرفي المحترم الغالي الحميم الدكتور: (أنور بيرم) أشكر المشرف العزيز على حديثه وآرائه القيّمة فجزاهُ الله خير الجزاء.

وأشكر جميع أساتذتي لجهدهم طيلة مدة الدراسة في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة غازي عثمان باشا.

وأشكر كلَّ من أمدَّني بالمصادر والإرشادات.

مقدمة

الحمد لله الذي علّم ابن آدم بالقلم، علّمه القرآن الذي نزل بلسان مبين كآخر هدي إلهي لبني الإنسان، على أشرف خلقه محمّد صلّى الله عليه وسلم الذي بلَّغ وأدَّى رسالته وأمانته للعالمين، هذا القرآن الذي هو أصدق الحديث نزل على لسان قريش كأفصح ما تكلّمت به العرب متحدّياً إياهم على أن يأتوا بمثله نظماً وبياناً، والصّلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم الذي بلغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتى أتاه اليقين.

أما بعد:

فإن من أشرف ما خصَّ الله به أمة الإسلام، وفضّلهم على سائر الأمم حفظه لكتابها الذي جعله دليلاً على حقيقة نبوة نبيهم، فهو حجة بالغة يرتدّ أمامها طرف كل مكذب أو مفتر، فلو اجتمع جميع من بين أقطارها، من جنها وإنسها وصغيرها وكبيرها، على أن يأتوا بسورة من مثله لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وعلم تفسير القرآن نظراً لموضوعه هو أرقى العلوم، وأعظمها نفعاً، فما أشدّ حاجة الناس إليه لفهم مراد الله في خلقه، أما أهل تفسير القرآن فشرفهم من شرف العلم الذي يقومون له، وكفاهم أنهم يترجمون عن الله أحكامه و آدابه و حكمته، و هذه المكانة تجذب طالب العلم و تعينه على الإقبال على كتاب الله بصدق و همّة، فهو العصمة في الدنيا و الآخرة، قال جلَّ وعلا: (وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[1]، فالعصمة بالله تتحقق بفهم القرآن –معجزة الإسلام– التي أيَّد الله تعالى بها رسوله مُحمّد –صلّى الله عليه وسلّم– لتكون دعوته دستوراً للنَّاس كافّة، بلسان عربي؛ "لأنَ بداية الدعوة الإسلامية كانت في العرب من أهل مكّة وما حولها في الجزيرة العربيّة، ثُمّ

[1] سورة آل عمران:101.

لأنّ اللغة العربيّة هيَ اللغة الأوعى والأشمل والأقدر على احتواء المعاني، وكذلك فيها جزالة اللفظ، وقوّة العبارة، واتّساق النصّ في أقلّ جمل وأوضح مراد"، ومع ذلك كلّه فهو ميسّر لمن أراد أن يقرأه أو يتفكّر فيه، ولكن مع تقدم الزَّمن وظهور اللغات الدخيلة على العربيّة، وتقادم الزمن منذ نزول الوحي بات فهم القرآن صعباً و مشكلاً، وخصوصاً حين لا نعلم لم أُنزلت هذه الآية وفيمن أُنزلت، بل يشكل فهم مفرداته وتعابيره، ومن هنا ظهرت الحاجّة الماسّة لعلوم القرآن، هذه الدراسة تتناول مثل هذه الإشكالات، فكلمة الاعتصام التي أمر الله تعالى بها عباده لينجو و يفوزوا يمكن تناولها بأكثر من وجه، بل إن لتفسير القرآن مدارس متشعبة، و هذه الدراسة تتناول المقارنة بين مدرسة التفسير بالدّراية(بالرأي)، ومدرسة التفسير الإشاري في فهم (الاعتصام) التي وردت في القرآن الكريم.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية مفهوم الاعتصام في ظل ما يشهده المسلمون اليوم من تفرق، وكذلك ورود الكلمة في أكثر من موضع في مواقف مختلفة يلقي الضوء على مالا ينضب من بلاغة القرآن، وعظيم تراكيبه ومعانيه، كذلك تنطلق هذه الدراسة من منهج المقارنة بين اتجاهين تفسيريين عظيمين في تراثنا الإسلامي؛ وهما التفسير بالدّراية و التفسير بالإشارة، ولكل مناهجه، وأساليبه في تناول النّص القرآني، وإن تناول موضوع واحد واستقرائه في نوعين من التفسير يلقي ضوءاً على مناهجهم وطرقهم في تفسير ذلك الموضوع، مما يجعل الفروق والمتشابهات جليّة أمام عين الباحث.

سبب البحث:

كثر في زماننا مدّعو العلم عامة، وفهم القرآن خاصّة، فكل من رغب تحدّث عن القرآن من غير أن يستوفي شروط المفسر، ومن غير تمكّن بمناهج هذا العلم وأصوله، فيقول ما شاء في تفسير القرآن بحسب هواه، مما يدعو إلى ضرورة الرّجوع إلى طرق كبار المفسرين ومناهجهم لتعلم الطرق الصحيحة في فهم كتاب الله.

وقد درج المفسرون الأوائل والمتأخرون على تناول مفردات القرآن بعناية شديدة، وقد اخترت الاعتصام لورود اللفظة في أكثر من موضع في القرآن بمواقف مختلفة ومعان متنوعة مما استرعى نظري، كما أن الاعتصام بالله أحد وسائل طلب تمكين الأمة من الله، وأحد أسباب رفعة شأنها، وما أحوجنا إليه في هذا العصر حيث ضعفت شوكة الأمة الإسلامية وكثر أعداؤها.

هدف البحث:

الهدف من هذا البحث هو بيان أساليب المفسرين ومناهجهم في تفسير الاعتصام في القرآن الكريم، وتتحدد هذه الدراسة بمنهج التفسير بالدّراية، والتفسير الإشاري.

الدِّراسات السَّابقة:

لم أقف على دراسة مستقلة بالاعتصام ومعانيه في تفاسير الإشارة والدراية، لكن هناك دراسات عامة حول الاعتصام بالكتاب والسنة، منها:

- كتاب وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة، لعبد العزيز عبد القادر، (دار فخر للتراث، 1991).
- كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: دراسة مبسطة في مسائل فقهية مهمة، لجعفر سجاني، (دار الأضواء، 1997).

خطة البحث:

قسمت البحث إلى ثلاثة فصول، اندرجت تحته مباحث ومطالب: **في الفصل الأول** تناولت فيه التعريفات المتعلقة بالبحث ضمن مبحثين: المبحث الأول في تعريف الفهم لغة وهو المطلب الأول، واصطلاحاً وهو المطلب الثاني، وفي المبحث الثاني تناولت تعريف الاعتصام لغةً واصطلاحاً وأهم مرادفاته على ثلاثة مطالب، وفي المبحث الثالث تحدثت عن مفهومي الدّراية والإشارة في التفسير وضوابطهما، المطلب الأول في المراد بالتفسير دراية وضوابطه، المطلب الثاني في المراد بالتفسير إشارة وضوابطه.

وفي الفصل الثاني سرد للآيات المتعلقة بالاعتصام وأقوال المفسرين حوله، إذ في المبحث الأول: سرد للآيات المتعلقة بالاعتصام وأقوال المفسرين حوله، وفي المبحث الثاني: الاعتصام في تفاسير الدّراية والإشارة وفق مطلبين؛ المطلب الأول: الاعتصام في تفاسير الدّراية، والمطلب الثاني: الاعتصام في تفاسير الإشارة، وفي المبحث الثالث: خصائص الاعتصام في تفاسير الدراية والإشارة.

أما الفصل الثالث فكان للمقارنة بين التفسيرين وبيان أوجه التشابه والاختلاف بينهما، في المبحث الاول قارنت بين التفسيرين وبينت أسس المقارنة، وفي المبحث الثاني بينت أوجه الاختلاف والتشابه بين التّفسيرين على مطلبين اثنين؛ المطلب الاول في أوجه الاختلاف بينهما، والمطلب الثاني في أوجه التشابه بينهما، ثم انتهيت إلى خاتمة سجلت فيها أهمّ ما توصلت إليه هذه الدراسة، وأبرز ما أوصيت به نتيجة رحلة البحث، وذيلت الدراسة بالفهارس العلمية والمصادر والمراجع المستخدمة في الدراسة.

ملخص

يتناول هذا البحث تفسير كلمة (الاعتصام) تفسيراً مقارناً بين تفاسير الدّراية وتفاسير الإشارة، وأقوال العلماء في بيان معنى هذه الكلمة في التفسيرين، كما يتناول أسس المقارنة بين التّفاسير، والشّروط التي تقتضيها هذه المقارنة المتعلقة بموضوع الدّراسة، كما أشار الباحث إلى أهم التّفاسير المعتمدة عند العلماء لتوضيح وتحقيق هذه المسألة حسب تقسيمات فصول البحث، ولبيان المراد من كلمة الاعتصام في تفاسير الإشارة والدّراية، قام الباحث بجمع الآيات المتعلقة بمعنى هذه الكلمة في التّفاسير، وقارن بينها متّبعاً المنهج الاستقرائي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: تفسير، الاعتصام، الدّراية، الإشارة.

Abstruct

This research deals with the interpretation (Tefsir) of the word (IYTISAM: adherence) in a comparative between two kinds of interpretation of Quran: interpretation of opinion and indicative interpretation and reviewing the sayings of the scholars in clarifying the meaning of Iytisam in the two interpretations. In order to clarify the meaning of the word IYTISAM in the indicative interpretation and interpretation of of opinion the researcher collected all the verses related to the meaning of this word in all the interpretators and compared them following the inductive-analytical approach.

Keywords: Interpretation, Iytisam: (Adherence), Interpretation of Opinion, Indicative Interpretation.

Özet

Bu araştırma “iğtisam” kelimesinin İşarî ve dirayet tefsirlerindeki karşılaştırmalı tefsirini ele almaktadır. Yine bu araştırma alimlerin bu kelime hakkındaki görüşlerini ele almaktadır. Yine bu araştırma tefsirler arasındaki karşılaştırma esaslarını ele aldığı gibi araştırma konularıyla alakalı bu araştırmanın gerektirdiği şartlara da yer vermektedir. Araştırmacı bu meseleyi açıklamak için meseleyi bölümlerine göre ayırarak alimler yanında önemli tefsirlere işaret etti. Araştırmacı işarî tefsirlerde ve dirayet tefsirlerinde “iğtisam” kelimesini izah etmektir. Bu nedenle araştırmacı tümevarım ve tümdengelim metodunu kullanarak ilgili ayetleri bir araya topladı ve aralarında bir mukayese yaptı.

Anahtar kelimler: Tefsir, İğtisam, Dirayet Tefsirleri, İşarî Tefsirleri.

فهرس المحتويات

BİLİMSEL ETİK SAYFASI.....
TEZ BAŞLIĞI.....
الإهداء i
شكر وعرفان..... ii
المقدمة iii
ملخص vii
Abstruct..... viii
Özet ix
فهرس المحتويات x
الاختصارات x
التمهيد..... 1
الفصل الأول: تعريف المصطلحات المتعلقة بالرسالة
1.1المبحث الأول: تعريف الفهم لغةً واصطلاحاً. 10
1.1.1 المطلب الأول: تعريف الفهم لغة..... 10
1.1.2المطلب الثاني: الفهم اصطلاحا..... 10
1.2المبحث الثاني: تعريف الاعتصام لغة واصطلاحا وأهم مرادفاته..... 11
1.2.1المطلب الأول: الاعتصام لغة 11
1.2.2المطلب الثاني: الاعتصام اصطلاحا..... 12
1.2.3المطلب الثالث: من مرادفات كلمة الاعتصام 12
1.3المبحث الثالث: مفهوم الدّراية والإشارة في التفسير وضوابطهما..... 14
1.3.1المطلب الأول: المراد بالتفسير دراية 14

1.3.2المطلب الثاني: المراد بالتفسير الإشاري 19

الفصل الثاني: الآيات المتعلقة بالاعتصام في القرآن الكريم ومعانيه وخصائصه في تفاسير الدراية والإشارة

2.1المبحث الأول: الآيات المتعلقة بالاعتصام في القرآن الكريم 23

2.2المبحث الثاني: معاني الاعتصام في تفاسير الدّراية والإشارة..... 28

2.2.1المطلب الأول: معاني الاعتصام في تفاسير الدّراية..... 28

2.2.2المطلب الثاني: معاني الاعتصام في تفاسير الإشارة 33

2.3المبحث الثالث: خصائص الاعتصام في تفاسير الدّراية والإشارة 36

2.3.1المطلب الأول: خصائص الاعتصام في تفاسير الدّراية 36

2.3.2المطلب الثاني: خصائص الاعتصام في تفاسير الإشارة..... 38

الفصل الثالث: المقارنة بين التفسيرين وبيان اوجه الاختلاف والتشابه بينهما.

3.1المبحث الأول : المقارنة بين التفسيرين. 43

3.1.1. المطلب الأول: المراد بالدراسة المقارنة.....43

3.1.2. المطلب الثاني: أسس المقارنة 44

3.2المبحث الثاني : بيان أوجه الاختلاف والتشابه بين التفسيرين..... 49

3.2.1المطلب الأول : أوجه الاختلاف بينهما. 57

3.2.2المطلب الثاني : أوجه التشابه بينهما. 58

الخاتمة 60

توصيات 61

فهرس الآيات..... 62

فهرس الأحاديث 65

المصادر والمراجع..... 66

االسيرة الذاتية للباحث 73

الاختصارات

- بدون تاريخ الطبعة: د.ت.
- بدون الناشر (بدون دار نشر): د.ن.
- بدون مكان الطباعة (مدينة المطبعة): د.م.
- طبعة: ط.
-جلد: مج.
-الناشر: ن.
-صفحة: ص.
-تحقيق: مح.

تمهيد

ليس غريباً أن يشغل القرآن الناس في كل زمان ومكان، على امتداد قرون طويلة، وأن يتنافس في العلم به والكتابة المتنافسون من مسلمين وغيرهم، وأن يصدر فيه الكتب، ويملأ أسماع الدنيا، فهو أصل الدين و الشريعة، وركيزة حياة الناس، ونبع إلهامهم، ونبراس الهدى الذي يحيل ظلماتهم نوراً في مختلف شؤونهم الدينية، والدنيوية، الروحية والمادية، العامّة والخاصّة، السياسيّة والقضائيّة والاجتماعيّة والشخصّية والإنسانيّة، ففيه أقوى الدوافع إلى أبعد ما يمكن أن يكون من رفعة الذّكر، وعلوّ القدر، وقوّة التّمكين والنصر، وجعل متبعيه خير أمة أخرجت للناس بشرط قيامهم بأمر الله، وتأديتهم أماناته؛ من دعوة إلى الخير والحق والهدى، ومن أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ومن تواص بالصبر والحق والمرحمة، ومن تناصر ضد البغي والإثم والعدوان، ومن اتّصاف بكل صفات الخير والعدل والبرّ والرحمة والإحسان والكرامة والعزة والصدق والوفاء وكلّ خلق كريم، ومن اجتناب للمنكرات والكبائر ما ظهر منها وما بطن، وما صغر منها وما عظم.

كتاب الله بوصف الله يهدي للتي هي أقوم ، ويشفي الصدور، نزل على الأمة رحمة بهم، ووعداً بسعادتي الدنيا والآخرة، كتاب هداية، أصل تنزيله هدى للناس، ولم ينزله قانوناً دنيوياً جافّا كقوانين البشر، ولا كتاباً طبياً لمداواة الأجسام، ولا تاريخاً بشرياً يحكي الأحداث والوقائع، فكلُّ ذلك مما في أيدينا، فلا يتوقف على الوحي قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ)[1] ، وفي قوله: " وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)[2]، وقوله: (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا[3])، وقوله: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[4] ، وقوله:(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ[5])، فمعاني القرآن ومقاصده لا عدَّ لها موزعة بشكل معجز دقيق بين أحكام وآداب وقصص، وقد نزل بلسان عربي مبين، على قوم هم أفصح الناس، إلا أنه لشدة فصاحته وغور معانيه، وبعد مراميه، لم يدركوا مراد الله في بعض مغازيه، فاحتاج الأصحاب –وهم خلاصة ذلك العصر– إلى أن يسألوا حضرة الرَّسول – صلّى الله عليه وسلم– عن معاني بعض آياته في زمنه، واحتاجوا لأن يسأل بعضهم بعضاً بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، فمن باب أولى يلزم من بعدهم فهم تلك المعاني الغامضة منه، والوقوف على أحكامه، ومعرفة المراد منها، لأنَّه مدار السَّعادة الأبدية، والتَّمسك بالعروة الوثقى، والوصول إلى الصراط المستقيم، وباب رضا ربّ العالمين، لأنّ الغرض فيه أمر عسير، لا يهتدى إليه إلا بتوفيقات ربّانيّة، وهباتٍ رحمانيّة من اللطيف الخبير، وإذا كان الأصحاب –رضي الله عنهم– على علو رتبتهم في مقامات الكمال، وارتفاع درجاتهم في الفصاحة، واستنارة قلوبهم بإشراق مشكاة النبوّة فيها، لم تعرج أفهامهم الثّاقبة إلى إشاراته، ولربما فهم بعضهم غير مراد الله، فما بالنا بغيرهم، وخاصّة أهل هذا العصر الذي انصرفوا عن القرآن إلى غيره، ولهذا كانت الحاجة ماسّة إلى اقتفاء أثر العلماء في فهم وتفسير كتاب الله.

---

[1] سورة النور:55.

[2] سورة الروم:47.

[3] سورة النساء:141.

[4] سورة المنافقون:8.

[5] سورة آل عمران: 139.

ومن فضائل علم التفسير أنه يدلّ صاحبه على ما يعتصم به من الضّلالة وقد قال الله تعالى:(وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[1]، وقال جلَّ جلاله: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا)[2] وقد بيّن الله تعالى في كتابه كيف يكون الاعتصام به، والمفسّر أقدر النّاس على إدراك ما يكون به الاعتصام بالله، ومما قاله النَّبي –صلى الله عليه وسلم– في أعظم خطبة في الإسلام في أشرف جمع كان على وجه الأرض، وذلك في خطبة حجّة الوداع: "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عنّي فما أنتم قائلون؟" قالوا: نشهد أنك قد بلّغت وأدّيت ونصحت، فقال بإصبعه السَّبابة يرفعها إلى السَّماء، وينكتها إلى النَّاس: "اللهم اشهد اللهم اشهد"، ثلاث مراتٍ[3]، والمسلمون يشهدون بأن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– قد بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح لأمته، وقد ترك لنا المحجة البيضاء عصمة من الضَّلالة، فمن اعتصم بها فلن يضلَّ بإذن الله، وهذا الاعتصام لا يكون إلا بفهم ما أنزل الله فيه، واتّباع ما فيه من الهدى.

و من هنا وجب تذكير طلاب العلوم الشرعية بحاجة الأمة إلى فهم القرآن، كما قال الله تعالى: (الر* كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)[4] ، وقال تعالى:(وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا * مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا * وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ * أَلَا إِلَى اللَّهِ

---

[1] سورة آل عمران: 101.

[2] سورة النساء: 175.

[3] مسلم بن الحجاج، *المسند الصحيح*، (بيروت: دار إحياء العربي)، 886/2 برقم: 3009.

[4] سورة إبراهيم:1.

تَصِيرُ الْأُمُورُ)[1]، وقال جلّ في علاه:(هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ * وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ)[2]، وقال:(فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا * قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا، رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ * وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا * قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا)[3]، فحاجة الأمة إلى فهم القرآن والاهتداء به متجددة، فكم من فتنة سببها سوء فهم مراد الله أو البعد عن كتابه! وقد قال الله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ * إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[4].

ولما كان القرآن كتاباً معجزاً للبشر اختلفت طرق العلماء إلى فهم معانيه؛ فقد قسم المعاصرون تفسير القرآن إلى تحليلي وموضوعي وإجمالي ومقارن، ومنهم من قسمه إلى تحليلي وموضوعي، أو إلى تحليلي وموضوعي وإجمالي ومقارن[5]، وهذه الاصطلاحات لم تكن معهودة عند العلماء قديماً.

وفيما يأتي تعريف كل من الاصطلاحات المعاصرة:

1) **التفسير التحليلي**: "يتتبع فيه المفسر آيات القرآن–من أوله إلى آخره– ويقف عند كل كلمة ولفظة فيفسّرها، ويحللها من جميع الوجوه اللغوية، والنحوية، وكذلك معانيها وتراكيبها، ويذكر أسباب النزول، وأقوال وآثار السَّلف إن وُجدت، ويذكر أحكام الآية، ويفصّل أقوال العلماء في مسائل فقهية

---

[1] سورة الشورى:52–53.

[2] سورة الحديد: 9.

[3] سورة الطلاق:10–11.

[4] سورة التوبة: 115.

[5] مساعد بن سليمان الطيار، *فصول في أصول التفسير*، (الدمام: دار ابن الجوزي، ط2/ 1423هـ)، 113.

أو نحوية أو بلاغية، ويهتم بذكر الروابط بين الآيات والمناسبات بين السّور ونحو ذلك، هذا النوع من التفاسير هو أغلب ما يتم اتباعه من قبل العلماء، من أمثلته: تفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، والمحرر الوجيز، وتفسير القرطبي، وابن العربي و غيرها، وهذا المنهج هو أغلب ما تمّ تأليفه من كتب التفاسير.

2) **التفسير الإجمالي**: "يكون بعرض المعاني الإجمالية للآيات، مع الوقوف على غريب الألفاظ، والرّبط بين المعاني في الآيات، بأسلوب يسهل فهمها، ويوضّح مقاصدها، وقد يضيف ما تدعو الضرورة إليه من سبب نزول أو قصّة أو حديث ونحو ذلك "هذا اللون أشبه ما يكون بالترجمة المعنوية للقرآن الكريم، يقتصر فيه المفسّر على تفسير الآية بشكل إجمالي دون تحليلها أو فكّ مفرداتها، كما في التفسير التحليلي.

3) **التفسير الموضوعي**: مصطلح حديث يفسر فيه صاحبه القرآن بحسب الموضوع، فهو تفسير باعتبار الموضوع، أو بمعنى آخر: عبارة عن جمع المفسّر لآيات القرآن الكريم المتناسبة في موضوع ما، فيجمعها و يكون منها موضوعاً يفسّره ليبين موقف القرآن منه، ولا شكّ أنّ أسلوب تفسير القرآن بالقرآن من هذا القبيل بل من أرفع ثماره، حيث جمع الآيات التي تتناول شأناً واحداً واستقراء دلالاتها، والتدليل على انسجامها، وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ينهجه مع أصحابه، فقد روي البخاري أنّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فسّر مفاتح الغيب في قوله تعالى:(وعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ

لا يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ)[1] فقال : مفاتح الغيب خمسة: (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ومَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً ومَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ[2])[3]، و"التأليف في هذا النوع يكون باستخراج الآيات التي تناولت الموضوع ذاته ، ثم الإحاطة بها تفسيراً وتأملاً، ثم استنباط عناصر الموضوع من خلال ما بين يديه من آيات، وينسق بين تلك العناصر بحيث يقسمها إلى أبواب، وفصول حسب حاجة الموضوع ويقدم لذلك بمقدّمة حول أسلوب القرآن في عرض أفكار الموضوع"، ومنبع الاستدلال آيات القرآن الكريم لا غيرها، مع ربط كلّ النتائج بواقع النّاس وما يعانوه من مشكلات، ولا يكون ذكر شيء من غير القرآن إلا من باب الاعتضاد لا الاعتماد، وأساس التفسير الموضوعي يرجع إلى عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– و أصحابه الكرام – رضي الله عنهم– "فقد كان الواحد منهم ربما سأل عن كلمة أشكلت عليه، وهذه الكلمة قد وردت في عدة مواضع من القرآن، فتتكون وحدة موضوعية لفكرة تطرأ في ذهنه يسأل عنها والنبي صلَّى الله عليه وسلَّم يبين ويزيل الإشكال"، مثال ذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه حيث أشكل على الصحابة قوله تعالى:(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)[4] متسائلين: "وأيُّنا لم يظلم نفسه"[5]، فبيّن لهم النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– أن الأمر ليس كما فهموا، وإنما المراد

---

[1] سورة الأنعام: 59.

[2] سورة لقمان: 34.

[3] البخاري، *الجامع الصحيح*، 1693/4 برقم 4351.

[4] سورة الأنعام: 82.

[5] محمد بن عبد الله، الحاكم، *المستدرك على الصحيحين*، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1411)، 346/2. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي.

بالظّلم الشرك، قال تعالى: (إن الشرك لظلم عظيم)[1]ففسّر آية الأنعام بآية لقمان، وهذه طريقة التّفسير الموضوعي.

4) **التفسير المقارن:** هو" جمع المفسر لأقوال المفسرين في آية معينة أو سورة معينة، ثم الموازنة بينها، مع بيان الرَّاجح عنده من هذه الأقوال" أي؛ يعتمد على جمع أقوال المفسرين لترجيح بعضها على بعضها، بمعنى آخر: "بيان الآيات القرآنية باستعراض ما كتبه المفسرون في الآية أو مجموعة الآيات المترابطة، والموازنة بين آرائهم، وعرض استدلالاتهم، والكرّ على القول المرجوح بالنقض وبيان وجهه، وتوجيه أدلته، وبيان الرَّاجح وحشد الأدلة وغير ذلك".

هذه التقسيمات لطرق التفسير لم تكن معروفة بأسمائها عند المفسرين الأوائل، بل كانوا يعملون بها دون تعيين اسم لها، لكن بعض العلماء المعاصرين وضعوا هذه الاصطلاحات، واعتمدوا عليها في وصف طرائقهم ومناهجهم، "فمن كان عمدة تفسيره التركيز على موضوع أو مواضع من القرآن الكريم بجمع آياته وتفسيرها فهو التفسير الموضوعي، وأصله يعود إلى العهد النبوي، ومن اعتمد التحليل وتتبع الآيات من أول القرآن إلى آخره شارحاً للألفاظ، ومبيناً للمعاني فقد عمل بالتفسير التَّحليلي، كجامع البيان في تأويل آي القرآن لأبي جعفر الطبري، وجامع الأحكام للقرطبي، والمحرر الوجيز لابن عطية، وتفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، ومن اكتفي ببيان مجمل المعاني دون تفصيل أدخلوه فيما اصطلحوا عليه بالتفسير الإجمالي، ومن اهتم في كتابه بجمع أقوال المفسرين وقارن بينها ورجح وصحّح أطلقوا على تفسيره التفسير المقارن، أما تفسير ابن جرير و ابن كثير فهو توليف بين

[1] سورة لقمان:13.

التفسير الموضوعي–لاعتمادهما تفسير القرآن بالقرآن– و التفسير التحليلي، وكذلك التفسير المقارن لأنهما يذكران أقوال الأئمة في آية ما ثم يرجّحان بينها"، ومن المعاصرين الذين جمعوا بين التفسيرين التحليلي والإجمالي من المعاصرين الدكتور أحمد مصطفي المراغي في تفسيره حيث يبدأ بشرح مفردات الآية، ثم يذكر المعنى الإجمالي– ويسميه المعنى الجُملي– ثم يأخذ في التوضيح والتحليل، وبكلّ حال هذه الأنواع من التّفسير كلها تعضد بعضها بعضاً".[1]

[1] مصطفي إبراهيم المشني، *التفسير المقارن دراسة التأصيلية*، (الأردن: مجلة الشريعة والقانون، 2006)، 4.

الفصل الأول

تعريف المصطلحات المتعلقة بالرسالة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الفهم لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: تعريف الاعتصام لغةً واصطلاحاً، وأهمّ مرادفاته.

المبحث الثالث: مفهوم الدّراية والإشارة في التفسير وضوابطهما.

1.1 المبحث الأول: تعريف الفهم لغةً واصطلاحاً.

1.1.1. المطلب الأول: تعريف الفهم لغةً : من "فَهِمَه، فَهْماً: أحسن تصوّرَه، ويقال: فهمت عن رجل، أي: فهمت منه، فهو فاهم، وهو فَهِم، وفهيم، وفهمت الشَّيءَ: علمته وعقلته، وفهمت فلاناً وأفهمته: عرَّفته، وفلان فَهِم: سريع الفهم"[1]، واستفهمني الشَّيء فأفهمته، وفهَّمته تفهيماً، وتفهَّم الكلام: إذا فهمه شيئاً بعد شيء.[2] وفهم يفهم، فهماً، فهو فاهمٌ، وفهمٌ، وفهيمٌ، والمفعول مفهوم، وفَهّامة : فهي للمبالغة، أي: شديد الفهم[3]، وفهم: الفاء والهاء والميم علم الشيء.[4]قال تعالى:(فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ)[5]؛ أي: فهمناه حقيقة القضيَّة، وحسن الحكومة[6].

1.1.2المطلب الثاني: الفهم اصطلاحاً: هو "ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق، من حكم ومحله معاً"، أو "ما دل عليه اللفظ لا في محلِّ النطق، وهو شامل لمفهوم الموافقة والمخالفة"، والمفهوم: اسم مفعول من فهم يفهم، والفهم: هو حسنُ تصوّر المعنى، أو هو جودة استعداد الذّهن للاستنباط، والجمع: فهوم، وأفهام"[7].

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، *العين*، مح. مهدي المخزومي، (القاهرة: دار ومكتبة الهلال)، 61/4.

[2] إسماعيل بن حماد الجوهري، *الصحاح تاج اللغة*، مح: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط1987/4)، 2005/5.

[3] أحمد مختار عبد الحميد، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، (القاهرة: عالم الكتب، ط1/ 2008)، 1748/3.

[4] أحمد بن فارس بن زكريا، *معجم مقاييس اللغة*، (دمشق: دار الفكر، ط/1979)، 457/4.

[5] سورة الأنبياء:79.

[6] محمد بن أحمد القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط1964/2)،307/11.

[7] محمود عبد الرحمن، *معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية*، (القاهرة: دار الفضيلة، 1999)، 3/ 328

1.2. المبحث الثاني: تعريف الاعتصام لغةً واصطلاحاً، وأهم مرادفاته:

1.2.1. المطلب الأول: الاعتصام لغة:

"العصمة: أن يعصمك الله من الشرِّ أي؛ يدفع عنك، واعتصمت بالله، أي: امتنعت به من الشرِّ، والعصمة: المنع، يقال: عصمة الطَّعام، أي منعه من الجوع، عصم: يدلُّ على إمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله معنى واحد"، من ذلك العصمة: "أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه واعتصم العبد بالله تعالى إذا امتنع، واستعصم: التجأ"، وتقول العرب: "أعصمت فلانا، أي هيأت له شيئا يعتصم بما نالته يده أي يلتجئ ويتمسك به، واستعصمت، أي: أبيت، وأعصمت، أي: لجأت إلى شيء اعتصمت به"[1]، وفيه: "من كانت عصمته شهادة أن لا إله إلا الله" أي: "ما يعصمه من المهالك يوم القيامة، والعصمة: المنعة، والعاصم: المانع الحامي، والاعتصام: الاستمساك بالشَّيء، العصمة في كلام العرب المنع وعصمة الله عبده أن يعصمه مما يوبقه، ومنعه ووقاه"، قال تعالى:(قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ[2]) أي؛ لا معصوم إلا المرحوم.[3]

---

[1] الفراهيدي، *العين*، 313/1.

[2] سورة هود: 43.

[3] المبارك بن محمد ابن الجزري، *النهاية في غريب الحديث والأثر*، (بيروت: المكتبة العلمية، 1979)، 249/3.

1.2.2. المطلب الثاني: الاعتصام اصطلاحاً: هو "التّمسّكُ بالكتاب والسّنّة، ولُزوم الجماعة"، أو: "التوكل علي الله وحده والاحتماء به والالتجاء إليه والاستعانة به والثقة فيه جل وعلا"، (وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ)[1]أي: واحتفظوا بالله مما تحذرون وتخافون منه، واعتمدوا عليه، والتجؤوا إليه، وثقوا به في مجامع أموركم دينًا ودنيا، وانتصروا به على أعدائكم، ولا تطلبوا الإعانة والنُّصرة إلا منه تعالى".[2]

1.2.3. المطلب الثالث: مرادفات كلمة الاعتصام: من الكلمات التي تدل على معنى القريب من كلمة" الاعتصام" أو ترادف معناها هي: منع، لجأ، أمسك، أبى، وقى، حفظ، وذلك استنادا بالقوامس والمعاجم ومثال ذلك كله في المصادر كما يأتي:

– العصمة: "أن يعصمك الله من الشرّ، أي؛ يدفع عنك، واعتصمت بالله أي؛ امتنعت به من الشر، واستعصمت أي؛ أبيت، وأعصمت أي؛ لجأت إلى شيء اعتصمت به، وأما عصم فبمعنى منع، ومنه العصمة في الدّين إنما هو المنع من المعاصي، وقوله: (لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) أي؛ لا مانع، ويقال: قد عصمه الطَّعام أي: منعه من الجوع".

---

[1] سورة الحج: 78.

[2] محمد الأمين بن عبد الله الهرري، *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*، (بيروت: دار طوق النجاة، ط1/ 2001 م)، 430/18؛ وانظر: إبراهيم بن عمر البقاعي، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي)104/13؛ علي بن محمد الشريف الجرجاني، *التعريفات*، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1983/1م)، 150.

– و"العصمة في كلام العرب: المنع، وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه، واعتصم فلان بالله إذا امتنع به، واستعصم إذا امتنع وأبى، قال الله تعالى حكاية عن امرأة العزيز في أمر يوسف حين راودته عن نفسه:(فاستعصم)[1] أي؛ تأبى عليها، ولم يجبها إلى ما طلبت".[2]

– و(عَصَمَ) العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدلُّ على إمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله معنى واحد، من ذلك العصمة: أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه، واعتصم العبد بالله تعالى، إذا امتنع، عصم يعصم: اكتسب، ومنع، ووقى، ولاذ، واستعصم: التجأ، وتقول العرب: أعصمت فلاناً، أي هيأت له شيئاً يعتصم بما نالته يده أي يلتجئ ويتمسك به.[3]

–(عصم) العصمة:" الحفظ يقال: عصمته فانعصم، واعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية، وعصمه الطعام منعه من الجوع، وهذا طعام يعصم، أي: يمنع من الجوع واعتصم به واستعصم امتنع وأبى، والاعتصام: التمسك بالشيء، وقوله:(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)[4] أي؛ تمسكوا بعهد الله، وقوله: (وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[5] أي؛ من يتمسك بحبله وعهده". [6]

وفي الفصل الثاني عرضٌ للآيات التي وردت فيها كلمة الاعتصام، مع بيان تفسير المفسرين لها.

---

[1] سورة يوسف: 32.

[2] الهروي، *تهذيب اللغة*، 34/2.

[3] ابن فارس، *معجم مقاييس اللغة*، 331/4.

[4] سورة آل عمران: 103.

[5] سورة آل عمران: 101.

[6] محمد بن مكرم ابن منظور، *لسان العرب*، مح. عبد الله علي الكبير، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، 2976/4.

1.3. المبحث الثالث: مفهوم الدّراية والإشارة في التفسير وضوابطهما:

اعتنى المسلمون بكتابهم، وتلقفوه بنهم دراسة وقراءة، فالقرآن حظي بعناية لم يحظها كتاب آخر، وهذا لأنه كلام الله لمن خلقهم إنساً وجنّاً، ختم الله به كتبه السماوية، وتعهد بحفظه من التحريف الذي طال كتب الأمم السابقة إلى قيام الساعة، وبسبب هذا الاهتمام تطورت علوم القرآن، وتطورت مناهج المفسرين، وتنوعت لاستجلاء مقاصده وأحكامه، وفي هذه الرسالة أتناول منهجين منها هما: التفسير بالرأي (الدّراية) والتفسير الاشاري، وأحاول في ثناياها التَّعرف على ملامح وسمات هذين المنهجين.

1.3.1. المطلب الأول: المراد بالتفسير درايةً:

"الرأي مصدر من "رأى الشيء يراه رأياً" ثم غلب استعماله على المرئي نفسه، من باب استعمال المصدر في المفعول، كالهوى في الأصل مصدر هويه يهواه هوى، ثم استعمل في الشّيء الذي يُهوى؛ فيقال: هذا هَوَى فلان، والعرب تفرّق بين مصادر فعل الرؤية بحسب محالها فتقول: رأى كذا في النّوم رؤيا، ورآه في اليقظة رؤية، ورأى كذا لا يعلم بالقلب ولا يرى بالعين رأياً، ولكنهم خصوه بما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب مما تتعارض فيه الأمارات؛ فلا يقال لمن رأى بقلبه أمراً غائباً عنه مما يحس به إنه رأيه، ولا يقال أيضاً للأمر المعقول الذي لا تختلف فيه العقول ولا تتعارض في الأمارات إنه رأى، وإن احتاج إلى فكر وتأمل كدقائق الحساب ونحوها"[1].

---

[1] محمد بن الحسن ابن دريد، *جمهرة اللغة*، (بيروت: دار العلم للملايين،1987)،235/1؛ الهروي، *تهذيب اللغة*،229/2؛ الجوهري، *الصحاح تاج اللغة*، 2348/6.

يُقصد بهذا المنهج "تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب وأساليبهم في القول، ثم معرفته للألفاظ العربية، ووجوه دلالتها، ومعرفته بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ"، وقد وقف العلماء من اعتماد هذا المنهج موقفين: **الأول**: لا يرون جواز تفسير القرآن بالرأي، **والثاني**: يرون جواز الاجتهاد بالرأي، والحقيقة لو دققنا النظر في أصل الخلاف لوجدنا أنه خلاف لفظي لا على الحقيقة، فالرأي إن استند على دليل لا يكون مذموماً بل هو اجتهاد، كأن ينبني على فهم لكلام العرب وأحوالهم بما لا يخالف الكتاب و السنة، وهنا المفسر يعمل عقله في فهم الآيات مع التزام بأصول الفهم والاستنباط، دون تجاهل ما هو مأثور من تفسير السلف الصالح من الصحابة والتابعين.[1]

أما ما اتكأ على الهوى، ولم يؤيده العقل أو النقل فهو ليس التفسير بالرأي، إنما هو التفسير بالهوى والجهل، وهو حرام ، والأدلة والآثار في تحريمه وذمه كثيرة جداً، "فالمتكلم في هذا النّوع متقحم متكلف ما لا علم له به، لم يراع في تفسير القرآن قوانين اللغة، ولا نصوص الشريعة وأصول الاستنباط، قد جعل هواه رائده ومذهبه قائده"[2]، وهذا لا يقصده الذين رأوا جواز تفسير القرآن بالرأي، فالأمر لا يحمل على إطلاقه، إنما تقيّد بالدليل والحجة، وطالما أن الحجة موجودة ولم يخالف الكتاب و السنة فالخلاف بين الفريقين على لفظة الرأي، ولا حقيقة لهذا الخلاف.

من أمثلة هذا النوع من التفسير: " تفسير الإمام الرازي لقوله سبحانه:(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ)[3]قال: "يندرج فيه المؤمن والكافر والصّديق والزّنديق؛ لأنّ كلّ أحد يريد التّمتع بلذات الدنيا وطيباتها، والانتفاع بخيراتها وشهواتها"، ثم قال: "إلا أن آخر الآية يدلّ على أن المراد هو الكافر،

---

[1] سليمان بن صالح القرعاوي، *مصطلحات علوم القرآن*، (د.م، 2007)،264.

[2] أحمد حسن فرحات، *علوم القرآن عرض ونقد*، (د.م، د.ت)،251.

[3] سورة هود: 15.

لقول الله بعدها: (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [1]، وهذا لا يليق إلا بالكفّار". وهو تفسير بالرأي المستند إلى دليل[2].

التفسير بالرأي على ما سبق قد يكون مذموماً أو محموداً، فالمذموم "أن يفسر مفسر لا أهلية لديه، ولا يرجع إلى السلف والمأثور، فهذا حكمه على مستويات أقلها أن يكون متمكناً من العربية وعلومها وفنونها فيتجرأ في التفسير، لكن ما هو شر من ذلك من ليس له أهلية ولا علم فيبتدع على الله في مراداته ومقاصده، فهذا يدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلّم:" اتّقوا الحديثَ عنّي إلا ما علمتم فمن كذب عليَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار، ومن قالَ في القرآنِ برأيهِ فليتبوّأ مقعده من النّار "[3]، وقد كان السلف الصالح يتيهيبون من التفسير خوفاً من التقوّل على الله كقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: " أيُّ أرض تقلّني وأيُّ سماء تظلّني إذا قلتُ في كتاب الله ما لم أعلم!"،وقال مسروق: "اتقوا التّفسير فإنّما هو الرّواية عن الله".[4]

أما ما هو محمود فأن يكون المفسر ذا أهلية من علم بالعربية وفنونها، وأحوال العرب، و يفسر بالمأثور ثم يعمل رأيه لكن مستنداً إلى دليل، "فهو يجمع بين اعتماد الأصل "المأثور" العاصم من الزلل وإعمال "الرأي" بالانفتاح على العصر و علومه"، وهذا يبقي القرآن متفاعلاً مع الواقع على تغيره كما قال سبحانه: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)[5]، وعلى هذا درج مشهور المفسرين

---

[1] سورة هود: 16.

[2] محمد بن عمر الرازي، *التفسير الكبير*، (بيروت: دار إحياء التراق العربي، ط1420/3)، 327/17.

[3] محمد بن عيسى الترمذي، *سنن الترمذي*، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998)، برقم:2951.**قال الترمذي: حديث حسن.**

[4] مالك بن أنس الأصبحي، *الموطأ*، (بيروت: مؤسسة الرسالة،1412)، برقم: 2079.

[5] سورة فصلت: 53.

مثل: "تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، وتفسير الطبري و تفسير القرطبي، و تفسير فتح القدير للشوكاني، وتفسير روح المعاني للألوسي[1]".

ضوابط تفسير الدراية:

لضبط التفسير بالرأي وضع العلماء بعض الشروط أهمها أن يكون واسع الاطلاع على جميع العلوم التي تعينه على تفسير القرآن بالعقل، فهذه العلوم بمثابة عواصم من الوقوع في الخطأ، وتقيه التقوّل على الله بغير علم ولا هدى، هذه العلوم:

أولاً: علم اللغة: فيه يتمكن من فهم مفردات القرآن وشرحها بما يناسب موضعها في النص.

ثانياً: **علم النحو**: فالكلمة حين بتغير إعرابها يتغير المعنى.

ثالثاً: علم الصرف: وتعرف به تراكيب المعاني وبنية الكلام.

رابعاً: الاشتقاق: فالكلمة الواحدة إذا اشتقت من مادتين أعطت دلالتين مختلفتين مثل كلمة(المسيح) هل تعني السّياحة أو من المسح؟ هذا بحسب الأصل المشتق منه.

"خامساً وسادساً وسابعاً: علوم البلاغة الثلاثة: "المعانى، والبيان، والبديع": فعلم المعانى يعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وعلم البيان يعرف به خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وعلم البديع، يعرب به وجوه تحسين الكلام، وهذه العلوم الثلاثة من أعظم أركان المفسر، لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وذلك لا يدرك إلا بهذه العلوم".

---

[1] حسن محمد أيوب، *الحديث في علوم القرآن والحديث*، (الإسكندرية: دار السلام، ط2/ 2004)، 153.

"**ثامناً: علم القراءات:** إذ بمعرفة القراءة يمكن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض".

"**تاسعاً: علم أصول الدين:** وهو علم الكلام، وبه يستطيع المفسر أن يستدل على ما يجب في حقه تعالى، وما يجوز، وما يستحيل، وأن ينظر في الآيات المتعلقة بالنبوات، والمعاد، وما إلى ذلك نظرة صائبة، ولولا ذلك لوقع المفسر في ورطات".

"**عاشراً: علم أصول الفقه:** إذ به يعرف كيف يستنبط الأحكام من الآيات ويستدل عليها، ويعرف الإجمال والتبيين، والعموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد، ودلالة الأمر والنهى، وما سوى ذلك من كل ما يرجع إلى هذا العلم".

"**الحادي عشر: علم أسباب النزول:** إذ أن معرفة سبب النزول يعين على فهم المراد من الآية".

"**الثاني عشر: علم القصص:** لأن معرفة القصة تفصيلاً يعين على توضيح ما أجمل منها في القرآن".

"**الثالث عشر: علم الناسخ والمنسوخ:** وبه يعلم المحكوم من غيره، ومن فقد هذه الناحية، ربما أفتى بحكم منسوخ فيقع في الضلال والإضلال".

"**الرابع عشر: الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم،** ليستعين بها على توضيح ما يشكل عليه"[1].

العلوم التي مرت عدّها العلماء أدواتاً لفهم كلام الله، وقد تم حصرها، لكن هذه ليست جميع العلوم التي يتطلبها تفسير كتاب الله، فالقرآن كتاب شامل اشتمل على ما حصل في الأمم السابقة، وهذا يقتضي العلم بالتاريخ ومناهجه[2].

---

[1] عماد علي عبد السميع، *التيسير في أصول واتجاهات التفسير*، (الإسكندرية: دار الإيمان. 2006م)، 30.

[2] محمد السيد حسين الذهبي، *التفسير والمفسرون*، (القاهرة: مكتبة وهبة)، 1/187-192.

1.3.2. المطلب الثاني: المراد بالتفسير الإشاري:

التفسير الإشاري أو التفسير بالإشارة ويسمى أيضاً التفسير الصوفي أو التفسير الفيضي: "نوع من تفسير القرآن الكريم ينتمي إلى نمط معيّن من الفهم، وهو فهم المعاني التي قد لا تظهر لأول وهلة، وإنَّما تحتاج لتدبّر وتأمّل"، وما يتكلم به أهل الإشارات من المفسرين في بعض آيات القرآن من معان لا تجري على ألفاظ القرآن، ولكن بتأويل ونحوه فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدَّعون أن كلامهم في ذلك تفسير للقرآن، بل يعنون أن الآية تصلح للتَّمثّل بها في الغرض المتكلَّم فيه، ذلك أنهم سمّوها إشارات، ولم يسمّوها معاني.

والمنهج الإشاري كمنهج في التفسير قديم، وله أسماء كثيرة مثل: "التفسير الباطني، العرفاني، الشهودي، والرمزي"، وكلّ منها يشير إلى نوع خاص من التفسير الإشاري.

أما عن آراء المفسّرين والمحقّقين فيه فبعضهم قبل بعض أنواعه وأفاد منها، وبعض العلماء رفضه واعتبره تأويلاً باطنياً، وهذا على أغلب الظن يرجع إلى فهم طرقه ومناهجه، إذ أن بعضها يتخذ مسارات صحيحة وبعضها لا يكون كذلك[1].

المنهج الإشاري نسبة إلى كلمة(الإشارة) لغةً بمعنى العلامة والإيماء، والّذي يعني اختيار أمر من الأمور"من القول أو العمل أو الرأي"، قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾[2] أي؛ اختيار شيء وتوجيههم إليه.

أما في الاصطلاح فالإشارة تعني: "أن يُستفاد شيء من الكلام دون أن يكون موضوعاً له". والإشارة قد تكون حسّية كما هو الحال في ألفاظ الإشارة مثل "هذا"، وقد تكون ذهنية كالإشارة للمعنى في الكلام، بحيث لو أراد

---

[1] المصدر السابق، 2: 352.

[2] سورة مريم: 29.

التّصريح به للزمه الكثير من الكلام، ثمّ إنّ الإشارة قد تكون ظاهرة وقد تكون خفيّة، وعلى هذا يكون المراد من التفسير الإشاري هو ما يطلق على الإشارات الخفيّة الموجودة في آيات القرآن، والّتي تعتمد على أساس العبور من ظواهر القرآن والأخذ بالباطن، أي استخراج وفهم وتوضيح نكتة من الآية لا توجد في ظواهر الآية عن طريق دلالة الإشارة.[1]

أي أن النص لا يحمل على ظاهره بل على إشاراته الخفية التي يلتقطها أصحاب الكشف "وتلك حقيقة العرفان"، وأصحاب هذه الطريقة في التفسير لا ينكرون العمل بظاهر النص إنما يرتبطون مع أسرار الآية، ويقولون:" إن لكل حرفٍ حدّاً، ولكل حدٍّ مطلعاً، فالحد هو منتهى المعنى من مراد الله، والمطلع هو ما يتوصل به لمعرفة الغاية".[2]

ضوابط التفسير الإشاري:

"وقد جعل الإمام جلال الدين السيوطي شروط قبول التفسير الإشاري على ما يلي" :

1-"ألّا يتنافى مع ما يظهر من معنى النظم الكريم والمقرر في لسان العرب".

---

[1] محمد علي الرضائي، *دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة*، ص 192، نقلاً عن *أصول التفسير وقواعده*، خالد عبد الرحمن العكّ، ص 205 206.

[2] محي الدين ابن العربي، *رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن*، جمع. محمود الغراب، (د.م، د.ت)،1: 15.

2-"ألّا يدّعى أن التفسير الإشاري هو المراد وحده دون الظّاهر، بل لابد من الاعتراف بالمعنى الظاهر أولاً، إذ لا يطمع في الوصول إلى الإشارة قبل إحكام العبارة، ومن ادَّعى فهم أسرار القرآن الكريم ولم يضع نصب عينيه التفسير الظاهر والواضح يكون كمن ادعى بلوغ صدر البيت قبل أن يجاوز بابه".

3-"ألّا يكون تأويلا بعيدا سخيفا، كتفسير بعضهم قوله تعالى: "وإن الله لمع المحسنين" بجعل كلمة "لمع" فعلا ماضياً، وكلمة "المحسنين" مفعولاً به".

4-"ألّا يكون له معارض شرعي أو عقلي".

5-"أن يكون له شاهد شرعي يؤيده".

وعليه فالتفسير الإشاري يُقبل بشروط مقيدة له كما نُقل عن العلماء. [1]

[1] جلال الدين السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، مح: محمد منصور، (القاهرة: دار التراث، 2010م)، 948-950.

الفصل الثاني

الآيات المتعلقة بالاعتصام في القرآن الكريم ومعانيه وخصائصه

في تفاسير الدّراية والإشارة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآيات المتعلقة بالاعتصام في القرآن الكريم

المبحث الثاني: معاني الاعتصام في تفاسير الدّراية والإشارة

المبحث الثالث: خصائص الاعتصام في تفاسير الدّراية والإشارة

المبحث الأول: الآيات المتعلقة بالاعتصام في القرآن الكريم:

فيما يأتي عرض للآيات التي وردت فيها مادة(عصم) وأقوال المفسرين فيها:

1- قال تعالى: (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[1]، "وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ" يمتنعْ به ويلتجئ إليه، فأصله صدق الالتجاء إلى جنابه، والفرار إليه، والاستغاثة به في كل حال، "ومن يعتصم بالله"، تأتي كذلك بمعنى التمسك بدين الله وصراطه المستقيم الواضح الذي لا عوج فيه، ويَعْتَصِمْ معناه: يتمسك ويستذري، وعصم الشيء إذا منع وحمي، "والعصمة تعني المنع فما كان مانعاً لشيء فهو عاصم له"[2].وأصل العصمة: المنع، فكل مانع شيئا فهو عاصم له.

2- قال تعالى:(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

---

[1] سورة آل عمران: 101.

[2] مجير الدين بن محمد العليمي، *فتح الرحمن في تفسير القرآن*، مح. نور الدين طالب، (بيروت: دار النوادر، ط/2009)، 5/2؛ عبد الكريم بن هوازن القشيري، *لطائف الإشارات*، مح. إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب)، 266/1؛ عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، مح. عبد السلام عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/ 1422)،482/1.

تَهْتَدُونَ)[1]، "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا" أي: واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به، ولا تفرّقوا عنه، أو واجتمعوا على التمسك بعهده إلى عباده وهو الإيمان والطاعة[2].

3- قال تعالى:(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)[3]، "وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ" أي: استمسكوا بدينه، أي؛ وثقوا به أو تمسّكوا بدينه[4].

4- قال تعالى:(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا)[5]، والمقصود هنا؛ أمر بالإيمان بالله وصفاته وأفعاله و أحكامه وأسمائه، أي الجمع بين مقامين: جمعوا مقام العبادة ومقام التوكل على الله في الأمر كله، "واعتصموا به" تعني بالله في التثبيت على الإيمان، والبعد عن غواية الشيطان، و أن يدخلوا تحت كنف رحمته، ويهديهم إلى الاستقامة، "واعتصموا به" أي اجعلوا الله مانعاً لكم

---

[1] سورة آل عمران: 103.

[2] محمود بن عمرو الزمخشري، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3/ 1407): 394/1؛ و: عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1/ 1418 هـ) .:31/2.

[3] سورة النساء: 146.

[4] عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، *زاد المسير في علم التفسير*، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1/ 1422 هـ): 490/1؛ البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 105/2.

[5] سورة النساء: 175.

من التفريط بالفرائض، والبقاء في العمى، وأن يضلوا بعد أن هداهم الله، فالعاصم هو الله من أن يخرجوا من ثلاثة: الرحمة والفضل والهداية[1].

5- قال تعالى:(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)[2]، "وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ" هنا تعني تمسكوا به جل وعلا في جميع أحوالكم، هُوَ مَوْلَاكُمْ على الحقيقة فَنِعْمَ الْمَوْلَى في إفناء وجودكم، وَنِعْمَ النَّصِيرُ في إبقائكم، "واعتصموا بالله" فهو سبحانه أحاط بكل صفات الكمال والجلال والجمال، فبما أمركم لخيركم[3].

6- قال تعالى:(وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[4]، أي: لا عاصم لهم من غضبه وناره إن أراد تعذيبهم، كالمشركين الذين اتخذوا من دون الله ما زعموا أنهم لهم شفعاء يوم الحساب

---

[1] محمد بن عمر الفخر الرازي، *مفاتيح الغيب*، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3/ 1420 هـ)، 274/11؛ إبراهيم بن عمر البقاعي، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، 527/5.

[2] سورة الحج: 78.

[3] محمود بن عبد الله الألوسي، *روح المعاني في تفسير القرآن*، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/ 1415 هـ)، 202/9.

[4] سورة يونس: 27.

7- قال تعالى:(قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ)[1] أي: سألجأ إلى جبل عال يحفظني من الماء أن يصل إليَّ فأغرق، أي: فلا أغرق، أي: لا شيء في هذا اليوم العصيب يعصم أحداً من أمر الله الذي قضاه، لا مانع اليوم من بلائه- الطوفان-إلا الرّاحم وهو الله تعالى، أو لا عاصم إلّا مكان من رحم، وهم المؤمنون، يعني السفينة، أو لا عاصم، بمعنى لا ذا عصمة إلا من رحمه الله، أو (إلا) منقطعة، أي لكن من رحمه فهو المعصوم[2].

8- قال تعالى:(يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)[3] أي: من عذابه من مانع، والعاصم: المانع والحافظ، تقول: عصمه من الظّالم، أي جعله في منعة مبتدأة من الظالم، وضمن فعل "عصم" معنى: أنقذ وانتزع، ومعنى من الله: من عذابه وعقابه لأن المنع إنّما تتعلق به المعاني لا الذّوات، و"من" الدَّاخلة على عاصم مزيدة لتأكيد النفي[4].

9- قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)[5]قوله: "يَعْصِمُكَ" من العصم بمعنى الإمساك والمنع، مأخوذة من عصام

---

[1] سورة هود:43.

[2] إسماعيل حقي الخلوتي، *روح البيان*، (بيروت: دار الفكر)، 39/4.

[3] سورة غافر:33.

[4] محمد رشيد رضا، تفسير *المنار*، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م)، 66/12.

[5] سورة المائدة:67.

قربة الماء، وهو ما تربط به من خيوط، والمعنى هنا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأمر له بالتبليغ دون أن يخشى في الله أحداً، فالله يمنع أعداءه من النيل منه حساً ومعنىً، فالعصمة بهذا المعنى منع الأذى عن نفسه وجسمه صلى الله عليه وسلم، وكذلك منع كل ما يحول من نشر دعوته[1].

10- قال تعالى:(قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ)[2]، معنى الاستعصام هنا: امتناعه عليه السلام من الانصياع إلى ما دعته إليه امرأة العزيز[3].

11- قال تعالى:(قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا)[4]، وعنى العصمة هنا أي من يمنعكم أيها الكافرون إن أراد الله بكم إهلاكاً، أو بلاءً؟، من سيجيركم منه؟ [5].

---

[1] محمد الطاهر ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، (تونس: الدار التونسية. 1984هـ)، 137/24.

[2] سورة يوسف: 32.

[3] ابن الجوزي، *زاد المسير في علم التفسير*، 437/2.

[4] سورة الأحزاب: 17.

[5] الزمخشري، *الكشاف*، 529/3.

2.2. المبحث الثاني: معاني الاعتصام في تفاسير الدّراية والإشارة:

2.2.1. المطلب الأول: معاني الاعتصام في تفاسير الدّراية:

لقد فسر مفسرو تفسير القرآن دراية على معناه اللغوي، أو قريباً من معناه، دون تكلّف، ودون اللجوء إلى تأويلٍ بعيد، أو تأويلٍ غير ممكن وغير مناسب لمعناه الأصليّ، فكلمة الاعتصام كنموذج فسرت في تفاسير الدراية على النحو الآتي:

– قال تعالى: (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[1]، الاستفهام هنا يفيد الاستنكار، والتعجب الذي تفيده كلمة (كيف) إنما يناسب من لا يعلم علماً سابقاً، وهذا لا يجوز على الله، وبالتالي المعنى كان لتشديد الخطاب عليهم بغلظة وقوّة، والمعنى: من أين يتطرق إليكم الكفر؟ والحال أن آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضَّة طريّة وبين أظهركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبهكم، ويعظكم، ويزيح شبهكم، ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه، ويجوز أن يكون حثاً لهم على الالتجاء إليه في دفع شرور الكفار، ومكايدهم فقد هدي؛ فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول: إذا جئت فلاناً فقد أفلحت، كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلاً، ومعنى التَّوقع في "قد" ظاهر لأن المعتصم بالله متوقّع للهدى، كما أن قاصد الكريم متوقّع للفلاح عنده[2]، فقوله:(إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

---

[1] سورة آل عمران: 101.

[2] الزمخشري، *الكشاف*، 393/1.

كَافِرِينَ)[1] إشارة إلى أن أعلى مقاصد اليهود والمنافقين أن يرتد المسلمون عن دينهم، فيحذر الله عباده ألا يلتفتوا إلى ما يقولون، بل يعودوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلما خالطتهم شبهة سمعوها منهم، ليزيل لهم الظلمات، ثم قال:(وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) فلما ذكر الوعيد أتبعه بالوعد، والمعنى: ومن يستمسك بدين الله، والاعتصام لغة الاستمساك بالشيء، والمنع أيضاً، ومنه قوله تعالى:(وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ[2]) قال قتادة: "ذكر في الآية أمرين يمنعان عن الوقوع في الكفر أحدهما: تلاوة كتاب الله، والثاني: كون الرسول فيهم، أما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد مضى إلى رحمة الله، وأما الكتاب فباق على وجه الدهر"، وأما قوله:(فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) فقد احتجَّ به أصحابنا على أن فعل العبد مخلوقٌ لله تعالى"، قالوا: "لأنه جعل اعتصامهم هداية من الله"، "فلما جعل ذلك الاعتصام فعلاً لهم وهدايةً من الله ثبت ما قلناه"، أما المعتزلة يرون فيه وجوهاً ثلاثة:

– **الأول**: أنها تعني الزيادة في الألطاف المترتبة على أداء الفرائض والطاعات، فقد قال:(يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ)[3].وهذا المعنى ورد عند القفال رحمه الله.

– **والثاني**: أن التقدير إن فعل فنعم ما فعل، فقد اهتدى إلى صراط مستقيم ليفعل هذا.

– **الثالث**: أن الله هداه إلى طريق الجنان في الآخرة.[4]

---

[1] سورة آل عمران: 100.

[2] سورة يوسف: 32.

[3] سورة المائدة:16.

[4] الرازي، *التفسير الكبير*، 309/8؛ الزمخشري، *الكشاف*، 393/1.

مما سبق نجد أن فخر الدين الرازي قد جعل مفهوم الاستفهام في الآية حجة لأصحابه على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، مع أن هذا الشيء متعلق بأصل العقيدة، وأما المعتزلة فقد خالفوه في تأويل الآية.

– وقال تعالى:(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)[1]هنا تعالى لما أمرهم باتّقاء المحظورات أمرهم بالتمسك بالاعتصام بما هو كالأصل لجميع الخيرات والطَّاعات، فكلُّ من يمشي على طريق دقيق يخاف أن تنزلق رجله، فإذا تمسَّك بحبل مشدود الطَّرفين بجانبي ذلك الطريق أمن من الخوف، ولا شكَّ أن طريق الحق طريقٌ دقيقٌ، وقد انزلق كثير من الخلق عنه، فمن اعتصم بدليل الله وبيناته فإنه يأمن من ذلك الخوف، فكان المراد من الحبل هاهنا كلَّ شيء يمكن التَّوصل به إلى الحقِّ في طريق الدّين، وقد اختلف المفسرون في تأويل ذلك الحبل، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد بالحبل العهد المذكور في قوله: (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم)[2]،وقال: (إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ)[3] أي: "بعهد، وإنما سمي العهد حبلاً لأنه يزيل عنه الخوف من الذّهاب إلى أي موضع شاء، وكان كالحبل الذي من تمسك به زال عنه الخوف"، وقيل: "إنه القرآن"[4]، "واعتصموا بحبل الله جميعاً" أي: تمسَّكوا بدين الله والخطاب للأوس والخزرج[5]، وحبل الله دينه، أو كتابه لقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: "القرآن حبل الله المتين" فشبهه بالحبل لأن التمسك به نجاة من التردي في الظلمات كما الحبل يعتمد عليه للسلامة من السقوط[6].

---

[1] سورة آل عمران: 103.

[2] سورة البقرة:40.

[3] سورة آل عمران: 112.

[4] الرازي، التفسير *الكبير*، 311/8.

[5] علي بن أحمد الواحدي، *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، (بيروت: دار القلم. ط1. 1415هـ)، 235.

[6] البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 31/2.

– وقال تعالى:(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)[1] فمنزلة المنافق في أسفل درجات جهنم، وذلك لأنهم يبطنون الكفر، ويخدعون الناس، أما من أصلح حاله و تمسك بدين الله فقد عصم نفسه من عذاب الله، وأصبح في فريق المؤمنين فيساهمونهم في النعيم[2]، والاعتصام بالله: "أن يكون غرضه من التوبة وإصلاح العمل طلب مرضاة الله"، ومعنى الإخلاص في الآية إخلاص الطاعة لله دون رياء الناس، عندها فقط يكمل إيمان المرء، والأجر العظيم هو الجنة في الآخرة[3].

– وقال تعالى:(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا)[4]، الاعتصام في الآية يعني صورة رجل يقع في حفرة فينادي على من يمدّ إليه حبلاً أو يداً فيرفعه، فالعصمة تمسّك الإنسان بمن ينجيه من كارثة، أو ضرر محيق به، والله أعطى لكل شيء سبباً ليتوكل الإنسان على الله ولا يتّكل، والمؤمن يذكر المسبب في السبب، فلو نجا من ضر ذكر العاصم والمنجّي الحقيقي له وهو الله تعالى، فالاعتصام بالله تعالى يقينه بأن هداه هو الهدى، وبهذا يترفّع عن طاعة سواه،

---

[1] سورة النساء: 145-146.

[2] عبد الحق بن غالب بن عطية، المحرر *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1993)، 128/2؛ البيضاوي، أنوار التنزيل، 106/2.

[3] الخازن، علي بن محمد، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1/ 1415 ه).441/1؛ طنطاوي، محمد سيد، *التفسير الوسيط*، (القاهرة: دار نهضة مصر، ط1، 361/3)؛ محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، الخواطر، (مصر: مطابع أخبار اليوم)، 2750/6.

[4] سورة النساء: 165.

فالمؤمن لايعرف ذلاً، ولا خضوعاً، ولا جبناً، ولا نفاقاً، ولا كذباً لأنه يرى الله بقلبه، فهو الذي يذلُّ له كلُّ شيء[1].

– وفي قوله سبحانه:(جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)[2]، فالاعتصام: الاستمساك، بأن يكونوا مستمسكين بأوامره ونواهيه، ومستمسكين بذاته العليَّة لَا يفكرون إلا فيه، امتنعوا به، وتوكَّلوا عليه في ذلك، ولا يتكلون على حولهم وقوتهم، ولا يبتغون غيره، ويلتفون حول شريعته غير منفصلين عنه، فنعم المولى ونعم النَّصير، ولذا ختم السورة بقوله: "فَنِعْمَ الْمَوْلَى" الذي تكون له ولاية المؤمن لَا يوالي غيره ولا يوادد من يحادّ الله ورسوله، "وَنِعْمَ النَّصِيرُ" النَّاصر، فلا ناصر في الشدائد، ولا منجي سواه[3].

من الأمثلة السابقة نجد أن التَّفاسير للاعتصام تردّ المعنى إلى اللغة، أو إلى قول السلف الصالح من الصّحابة والتّابعين، مع مراعاة سياقات الكلمة في كل آية وردت فيها في مواضعها مراعاةً تامَّةً دون الخروج إلى معان بعيدة لا تتبدى لقارئ يفهم العربيَّة.

---

[1] محمد بن أحمد أبو زهرة، زهرة *التفاسير*، (دار النشر: دار الفكر العربي)، 1993/4.

[2] سورة الحجّ: 78.

[3] انظر: أبو زهرة، *زهرة التفاسير*: 5038/9، ابن عاشور، *التحرير والتنوير*،352/17.

2.2.2. المطلب الثاني: معاني الاعتصام في تفاسير الإشارة:

مرَّ في المطلب السابق تفسير الاعتصام في نظر من عملوا بتفسير الدراية، في هذا المطلب نعرض تفسير الاعتصام في التفسير الإشاري، أي التفاسير التي تجاوزت المعنى الظاهر إلى سواه مع الأخذ والعمل بالمعنى الظاهر، وفيما يلي بعض الأمثلة:

– قال تعالى: (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[1]، يعني الاعتصام هنا التمسك بالدين، والالتجاء إلى الله في دفع الشر، أي منع النفس من الانزلاق في آفات تضرّ الإيمان[2].

– وقال سبحانه:(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)[3]، فقوله تعالى: "وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ تعني" أن الله حفظه من أن يبتليه كما فعل مع أخوته من الأنبياء، فقد امتحن إبراهيم بالنار، وإسماعيل بالذّبح، إذ كان لا يشعر بما يُفعل به، كما قال: (وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ[4])فأخبره ربه أنه يعصمه من الناس[5]، و أصحاب الاعتصام فريقان: "فريق أهل الصّورة وهم المتعلقون بالأسباب لأن مشربهم الأعمال، فقيل لهم:" اعتصموا بحبل الله وهو كل سبب يتوصل به إلى الله من أعمال البر"، "وأهل المعنى وهم المنقطعون عن

---

[1] سورة آل عمران: 101.

[2] نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، (بيروت: المكتبة العلمية، ط1/ 1416)، 221/2.

[3] سورة المائدة: 67.

[4] سورة الأحقاف: 9.

[5] سهل بن عبد الله التُستري، *تفسير التستري*، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1423/1 ه)، 59/1.

الأسباب إذ مشربهم الأحوال" فقيل لهم: "واعتصموا بالله هو مولاكم مقصودكم أو ناصركم، ولا تفرَّقوا في الظَّاهر (مفارقة الجماعة) وفي الباطن (الميل إلى البدع والأهواء)[1].

– قال تعالى:(وَجاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَباكُمْ وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)[2]، والمعنى: "حتى تصلوا إليه يتولى هو إفنائكم عنكم"، "فَنِعْمَ الْمَوْلى" في إفناء وجودكم، "وَنِعْمَ النَّصِيرُ" في إبقائكم بربكم[3].

– وفي قوله جلَّ وعلا: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)[4]، فهو يعصمك يا محمد "بأوصاف لاهوتيته عن أوصاف ناسوتيتك لتتصرف في الخلق بقوة اللاهوتية فتوصلهم إلى الله ولا يتصرفون فيك فيقطعوك عن الله". فأرباب الظواهر ليسوا في حقيقة الدين حتى يعتصموا "بمقدمتين وأربع نتائج، فالمقدمتان: الجذبة الإلهيَّة،

---

[1] النيسابوري، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، 236/2.

[2] سورة الحجّ: 78.

[3] النيسابوري، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، 105/5.

[4] سورة المائدة: 67.

ونتيجتها الإعراض عن الدّنيا والتّوجه إلى المولى، ثم تربية الشيخ ونتيجتها تزكية النفس عن الأخلاق الذّميمة، وتحلية القلب بالأخلاق الفاضلة.[1]

– وقال الله تعالى على لسان ابن نوح عليه السلام:(قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ)[2]فمعنى "يعصمني" هنا أي: يحفظني بارتفاعه من الماء فلا يصل إليَّ، فجاء ردّ والده: (لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) حيث نفي جنس العصمة النافي لجميع أفراده عيناً وصفةً، وذلك في نفي أن يكون الجبل عاصماً، ثم زاد كلمة (اليوم) للتحذير في أنه يوم غير عاديّ، وأن أمر الله نافذ، كأنه قيل: "لا عاصم من أمره إلا هو"، وقيل: "إنه مجاز مرسل عن مكان الاعتصام"، والمعنى بهذا يكون نفي مكان للاعتصام سوى السفينة حيث رحمة الله[3]. قال القشيري في تفسير الآية: " أخطأ ابن نوح من وجهين: رأى الهلاك من الماء وكان من الله، ورأى النجاة والعصمة من الجبل وهما من الله، فقال له نوح: لا عاصم اليوم من أمر الله، قيل: "أراد لا معصوم اليوم من الله"، وقيل: "لا أحد يعصم أحدا من أمر الله، لكن من رحمه ربه فهو معصوم من ذلك"، ثم جاء الماء ونوح ينصح ابنه فحيل بينهما وغرق، فما نفعه الوعظ ولا التذكير ولا التحذير، ويقال: "احتمل أن لو قيل له يا نوح عرفنا العالم بدعائك ولا عليك إن عرف"[4].

---

[1] انظر: النيسابوري، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، 619/2.

[2] سورة هود: 43.

[3] الألوسي، *روح المعاني*، 6/ 256–258.

[4] القشيري، *لطائف الإشارات*، 138/2.

– وقال تعالى:(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)[1]. أي: "يحفظ ظاهرك من أن يمسّك أذاهم، فلا يتسلَّط بعد هذا عليك عدوّ، أو يصون سرّك عنهم حتى لا يقع عليه احتشام منهم"، ويقال: "يعصمك من الناس حتى لا تغرق في بحر التَّوهم بل تشاهدهم كما هم وجوداً بين طرفي العدم"[2].

2.3. المبحث الثالث:خصائص الاعتصام في تفاسير الدّراية والإشارة:

2.3.1. المطلب الأول: خصائص الاعتصام في تفاسير الدّراية:

أشهر الكتب في تفسير القرآن بالاستعانة بالرأي، والاجتهاد: التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، وتفسير النسفي، وتفسير البيضاوي، ولباب التأويل في معاني التنزيل لابي الحسن علي بن محمد البغدادي، وروح المعاني للألوسي، وغيرها، حيث ينتهج فيه المفسر الاستنتاج العقلي ويرجح بعض المعاني، وهذا لا يكون إلا من متقن متمكن لعلوم العربية والشرعية، وأن يكون متمتعاً بالموهبة التي تأتي من هبات الرحمن، فيكون متقياً لله فيفتح الله له أبواب العلم والفهم، فقد قال الله:(وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ)[3]، ولعلَّ هذا يفسر غزارة علم الأولين في شتى فنون العلم، وكذلك دقتهم العلمية، واستقصاءاتهم، وردّهم على المخالفين، وتفنيدهم للشُّبه، فكيف اتسع العمر لهذه الغزارة لولا أنهم أخلصوا واتقوا الله فعلمهم الله، وبارك في أوقاتهم، حتى تركوا لنا المجلدات من الكتب الغنية بأفهامهم، وأفكارهم، فلمن لا يتصف بصفاتهم، ولا يحقق شروطهم يحرم عليه التفسير بالرأي، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "من

---

[1] سورة المائدة: 67.

[2] القشيري، *لطائف الإشارات*، 438/1.

[3] سورة البقرة: 282.

قالَ في القرآنِ بغيرِ علمٍ فليتبوَّأ مقعدَه من النَّار"[1]، وقال: "من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فأصاب فقد أخطأ"[2]، والمعنى أن من فسَّر القرآن برأيه المجرد دون الرّجوع إلى لغة العرب وأساليبها في البيان، ودون الرجوع إلى الأثر، ومعرفة الناسخ والمنسوخ فقد ضلَّ الطَّريق إلى كتاب الله وإن أصاب، حيث فسر كتاب الله بما لا يعلمه، ولهذا لم يتجرأ الصحابة على التفسير كما "روي عن أنس أنَّ عمر بن الخطاب قرأ على المنبر:(وَفَاكِهَةً وَأَبًّا)[3]فقال: هذه الفاكهة عرفناها فما الأبُّ؟ ثم رجع إلى نفسه وقال: "إن هذا لهو التكلُّف يا عمر".[4]وهذا يحمل على أنه رغب في معرفة كيفية الأبّ، وإلا فهو معروف عند العرب أنه نبات من الأرض.

والخلاصة أنّ أهل الرَّأي في التفسير يفسرون بالاجتهاد، لكن معضَّداً بمعرفة اللغة العربية، ووجوه دلالتها، وكذلك معرفة ما تمّ نسخه من القرآن، مع الأخذ بفهم السلف الصالح، فالذين يفسّرون الاعتصام بالرأي اعتمدوا على معناها اللغوي المشهور في كلام العرب ولوازمه، وبالتالي يمكن تلخيص ما سبق أن تفسير الاعتصام بالدراية تميَّز بالآتي:

1- الاعتماد على المعنى اللغوي المشهور من كلام العرب.

2- بيان لوازم معناها، وذلك لزيادة البيان لمعنى الكلمة.

3- عدم الخروج على فهم السَّلف لمعرفة وبيان معناها.

---

[1] الترمذي، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، 199/5، رقم2950، قال الترمذي: حسن صحيح.

[2] المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، *جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم*، مح. عبد القادر الأرناؤوط، (مكتبة الحلواني، ط1/ 1969)، 3/2.

[3] سورة عبس: 31.

[4] إسماعيل بن عم ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، (السعودية: دار طيبة، ط1999/2)، 12/1.

2.3.2. المطلب الثاني: خصائص الاعتصام في التّفسير الإشاري:

في التفسير الإشاري يشير المفسر إلى معنى آخر مختلف عن المعنى الظاهر وربما احتملته معاني الآية لكن ليس لعامة الناس، بل تكشف عن نفسها لأرباب السلوك من الخواصّ الصالحين الذين منحهم الله الفهم عنه، وهذا النوع من العلم غير تحصيلي، لا يمكن تعلمه كسباً كما كل العلوم، بل وهبي من الله كثمرة لاستقامة العبد وصدق توجهه إلى الله، قال تعالى:(وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[1]، فالتفسير الإشاري يرتكز على أساس المرور من ظواهر القرآن إلى بواطنه، أي: استخراج وفهم وتوضيح نكتة من الآية لا توجد في ظاهر الآية الواضح عن طريق دلالة الإشارة[2]، فللقرآن ظاهر وباطن، فالظاهر شريعة والباطن حقيقة، يقول السَّلمي في مقدمة تفسيره عن دواعي تأليفه في تفسير القرآن:" "لما رأيت المتوسّمين بعلوم الظاهر قد سبقوا في أنواع فرائد القرآن، من قراءات وتفاسير ومشكلات وأحكام وإعراب ولغة ومجمل ومفصّل وناسخ ومنسوخ، ولم يشتغل أحد منهم بفهم الخطاب على لسان أهل الحقيقة إلا آيات متفرقة، أحببت أن أجمع حروفاً أستحسنها من ذلك وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك وأرتبه على السور حسب وسعي وطاقتي"[3]، ويقول التّستري في تفسيره–وهو أول ما صدر للصوفية من تفسير للقرآن–: "ما من آية في القرآن إلا ولها أربعة معان، ظاهر وباطن وحدّ ومطلع، فالظاهر التّلاوة، والباطن

---

[1] سورة البقرة: 282.

[2] محمد الرضائي، *دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة*، 192.

[3] سليمان نصيف التكريتي، *تفسير القرآن الكريم على الطريقة الصوفية*، (جامعة القاهرة: مكتبة دار العلوم، رسالة ماجستير، 1975)، 22.

الفهم، والحدّ حلالها وحرامها، والمطلع إشراف القلب على المراد بها فقهاً من الله عزَّ وجل[1]" فعلوم الظاهر للعامة وعلوم الباطن للخاصة.

أما تفسير عبد الكريم القشيري فقد سماه (لطائف الإشارات) وقد سلك فيه طريق التفسير الإشاري حيث قال في كتابه:" وكتابنا هذا يأتي على طرف من إشارات القرآن على لسان أهل المعرفة، إما من معاني قولهم، أو قضايا أصولهم"[2]، وقد أفاد القشيري من السلمي في كثير، ثم ظهر بعد كتابه في اللطائف تفسير ابن عربي على المنهج ذاته، قال ابن عربي في كتابه ما يشبه قول القشيري من أن للآيات القرآنية معنى ظاهر، وحد، ومطلع" وهو ما يصعد إليه منه فيطّلع على شهود الملك العلام"[3] .

لكن أهمّ ما يؤخذ على هذه التفاسير، هو اعتمادها على التذوق الخاص، وأنها ذاتية كخواطر تجول في قلب المفسر، وتختلف في تصورها باختلاف الأشخاص، بحيث لا يمكن الاتفاق عليها، فتجاربهم روحية خاصة، لا دليل لاعتبارها سوى قول صاحب التجربة نفسه، ولهذا قلما تتفق فيما بينها في تفسير الآيات، ولا تعدو كونها خواطر قلبية روحيّة، فمثلاً يفسر القشيري البسملة في كل سورة بشكل مختلف، حيث تتجلى بنعت مختلف لذات الله وصفاته فلا يمكن أن تكون ذاتها في كل سورة من سور القرآن.[4]

هذا النوع من التفسير الصوفي الباطني يقوم على أسس منها:

---

[1] سهل التستري، *تفسير التستري*، ص61.

[2] القشيري، *لطائف الإشارات*، 1/41.

[3] تفسير ابن عربي،4/1؛ حامد محمود الزفري، *محي الدين بن عربي مفسرًا*، (القاهرة: جامعة الأزهر، مكتبة كلية أصول الدين، رسالة دكتوراه، 1972م)، 174.

[4] محمّد هادي معرفة، التفسير والمفسّرون، 2/953-954.

1- للقرآن معنى ظاهر يفهمه كل من يفهم لغة العرب، ومعنى باطن لا يفهمه إلا خواصّ الناس، الذين ينير الله بصيرتهم بالكشف من طريق المعارف اللدنية.

2- يختلف العلم بالقرآن عن باقي العلوم بضرورة العمل به، فالعالم بالقرآن لابد وأن يكون عاملاً ليصقل توجهه في طلب المزيد من الفتوح والمعاني الربانية، وليصفي مرآة عقله ونفسه من كل ما يشوبها.

3- لم يخل التفسير الإشاري من الارتكاز على الآثار تماماً كما يركز التفسير بالمأثور، واعتمد في كثير منه على معاني المفردات والتفسيرات البلاغية.

4- المعاني التي يطرحها هذا النوع من التفسير تصاغ بمصطلحات صوفية لا تعايش إلا بخبرتهم وتجاربهم، ويجعلون من آيات القرآن دليلاً على هذه المعاني.

5- نجد مشقة نفسية في تقبل بعض المعاني التي تبتعد عن المعنى الظاهر، وتفارقه إلى معان قد تتصل بشكل مشكل بفكر فيه كفر أو زندقة. مما يجد القارئ صعوبة في التماس حسن الظن بالمفسر أحياناً.

6- التفسير الإشاري لم يخل من الاعتماد على الإسرائيليات، كذلك ينقصه الدقة في تتبع صحة الأحاديث فلا تعليق فيه على الأسانيد، فالمعاني المطروحة ذاتية باطنية[1].

[1] إبراهيم بن موسى الشاطبي، *الموافقات*، مح. مشهور حسن، (د.م: دار ابن عفان. ط1. 1997م)، 403/3؛ حسن عبد التواب، *التفسير الصوفي للقرآن*، (القاهرة: جامعة الأزهر، مكتبة أصول الدين، 1972)، 144.

الخلاصة: يمكن القول أنَّ:

1- المنهج الإشاري قديم.

2- للمنهج الإشاري مصطلحات مترادفة كثيرة منها: التفسير الباطني، التفسير العرفاني، التفسير الشهودي.

3- يركز هذا النوع من التفسير على إشارات خفية يدركها أرباب السلوك، حيث يعبر التفسير من المعنى الظاهر في القرآن إلى المعنى الباطن.

مما سبق يتبين لنا أن للتفسير الإشاري مميزات خاصة به، فنرى أنهم قد فسروا كلمة أو مفهوم "الاعتصام" بتفسير ظاهري مرة وبالإشارة مرة أخرى، ومن مميزاتها أنهم:

1- فسروها بمعناها الظَّاهر أيضاً، وهو: الإمساك واللجوء والمنع.

2- فسَّروها بإشارة المعنى غير المعنى الظاهر.

3- اعتمدوا في تفسيرها على إشارات للمعاني التي تتعلق بالنّفس، وأعمال القلب من إيمان وتصديق، أي جوانب معنوية باطنية.

الفصل الثالث

المقارنة بين التفسيرين وبيان أوجه الاختلاف والتشابه بينهما

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المقارنة بين التفسيرين.

المبحث الثاني: بيان أوجه الاختلاف والتشابه بين التفسيرين.

3.1. المبحث الأول: المقارنة بين التفسيرين:

3.1.1. المطلب الأول: المراد بالدراسة المقارنة.

المناهج المستخدمة في البحث العلمي متنوعة بتنوع الغرض من البحث، لذلك على الباحث أن يكون ملمّاً بها كلها وخاصة ما يلائم تخصصه، وقد يستعمل الباحث أكثر من منهج، وفقاً لطبيعة المشكلة، ويتعلق ذلك بمتطلبات مشكلة البحث الذي يطرحها الباحث، ومنهج المقارنة مثلاً يتيح للباحث التعرف على أوجه الشبه والاختلاف، ويستطيع الباحث العلمي بهذا المنهج فهم العلاقة التي تجمع ما بين مكونات النصوص التي يعمل الباحث العلمي على مقارنتها[1].

ومن أهم هذه المناهج المعتبرة: المنهج الوصفي، المنهج التحليلي، المنهج التجريبي، المنهج المقارن، المنهج التاريخي أو الاستدلالي، والمنهج الاستقرائي، وأخرى مثل: المنهج الاستنباطي والمنهج الفلسفي والمنهج الموضوعي والمنهج التركيبي ومنهج المسح الاجتماعي ومنهج دراسة الحالة.

هذه الدراسة تعتمد المنهج المقارن، والمقارنة تعني ‘‘المقايسة بين ظاهرتين أو أكثر، ويتم ذلك بمعرفة أوجه الشبه وأوجه الاختلاف"[2]، وتعني ‘‘عملية عقلية تتم بتعيين أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين حادثتين أو أكثر، تستطيع من خلالها الحصول على معارف أدقّ وأرجح"، فالمنهج المقارن: وهو ذلك المنهج الذي يعتمد على المقارنة في دراسة الظاهرة حيث يظهر أوجه الشبه والاختلاف فيما بين ظاهرتين أو أكثر، نميز به موضوع الدراسة – مجال المقارنة والتصنيف–وهذه الحادثة محدّدة بزمانها ومكانها وتاريخها، ويمكن أن تكون: كيفية قابلة

---

[1] لؤي عبد الفتاح وغيره، *الوجيز في مناهج البحث العلمي وتقنياته*، (المغرب: مكتبة القادسية، 2012)،7/1.

[2] ربحي مصطفي عليان وغيره، *مناهج وأساليب البحث العلمي*، (عمان: دار صفاء، ط2000/1م)، 56.

للتحليل، أو كميّة لتحويلها إلى كم قابل للحساب"[1]، وأكثر ما يستخدم في الدراسات الاجتماعية والسياسية والقانونية وعلم النفس، فهو منهج مرن يناسب الكثير من الظواهر على اختلاف طبيعتها.

3.1.2. المطلب الثاني: أسس المقارنة:

المقارنة موجودة في قديم الكتب تطبيقاً، لكنها مصطلح حديث، وفي التفسير عرّفه الدكتور أحمد الكومي بقوله: "بيان الآيات القرآنية على ما كتبه جمع من المفسرين بموازنة آرائهم والمقارنة بين مختلف اتجاهاتهم والبحث عما عساه يكون من التوفيق بين ما ظاهره مختلف من آيات القرآن والأحاديث وما يكون ذلك مؤتلفاً أو مختلفاً من الكتب السماوية الأخرى"[2]، وعرّفه مصطفي إبراهيم المشني مع بعض زيادة وقال: "أن التعريف الجامع للتفسير المقارن: "هو العناية بالموازنة بين آراء المفسرين، وأقوالهم في معاني الآيات القرآنية وموضوعاتها ودلالاتها، والمقارنة بين المفسرين في ضوء اختلاف مناهجهم وتعدد اتجاهاتهم وطرقهم في التفسير، وتباين ثقافاتهم وفنونهم ومعارفهم، ومناقشة ذلك على ضوء منهجية علمية موضوعية، ثم اعتماد الرأي الراجح، استناداً إلى الأدلة المعتبرة في الترجيح"[3]، وبالجمع بين التعريفين نخلص إلى أن المقارنة في التفسير تعني "مقايسة آراء المفسرين في بيان الآيات القرآنية، والمقارنة بين مناهجهم، ومناقشة ذلك وفق منهجية علمية موضوعية".

---

[1] المصدر السابق: 57.

[2] أحمد السيد علي الكومي، *التفسير الموضوعي*، (القاهرة، 1982 م)، 14 فما بعدها.

[3] المشني، *التفسير المقارن دراسة تأصيلية*، 148.

نشأة التفسير المقارن وتطوره:

يمكن إرجاع قواعد التفسير المقارن إلى العهد النبوي، فقد لازم بيان القرآن، وتطور ذلك النوع من التفسير عبر الزمن، فالصحابة يجتهدون ثم يعرضون اجتهاداتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليصححها، أو يرجح بعضها، ويلغي بعضها، مثال ذلك: "قول الصحابي الذي تمارى بصاحبه في المراد من المسجد الذي أسس على التقوى؟ ورجَّح صلى الله عليه وسلم قول أحدهما بإشارته إلى مسجده فقال صلى الله عليه وسلم: "هو مسجدي هذا"[1]، وفي بعض المواقف يحكم النبي بصحة القولين كما حدث الاختلاف بين الصّحابة في القراءات؛ أشهرها "قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع هشام بن حكيم رضي الله عنه حين سمع عمر هشاماً رضي الله عنهما يقرأ سورة الفرقان في الصلاة بغير الحرف الذي يقرأها بها، فلببه بردائه، وأخذ به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فيؤيد صلى الله عليه وسلم بهما لعدم تعارضهما"[2].

بعد النَّبي صلى الله عليه وسلم اختلفت أفهام الصحابة في بيان بعض الآيات القرآنية كما قال السيوطي[3]: "واختلف الصحابة في معنى الآية فأخذ كل برأيه على منتهى نظره، وبدت لهم مواقف في معاني كلمات القرآن الكريم؛ فأحياناً صاحب أحد القولين قارن قوله بقول صاحبه فرجع إلى قول صاحبه إن كان الحق فيه عنده، كما قارن ابن عباس رضي الله عنهما قوله في المراد بآية (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا)[4]أنها الخيل حين تُغير في سبيل الله، بقول علي رضي الله عنه بأنها الإبل فرجع ابن عباس إلى قول علي رضي الله عنهم بحجّة".

---

[1] أحمد بن شعيب النسائي، *السنن الكبرى* (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001)، رقم، 778.

[2] البخاري، *الجامع الصحيح*، كتاب: فضائل القرآن، رقم، 4992.

[3] السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، 4/209-210.

[4] سورة العاديات: 1.

وقد يقارن الصحابي بين أقوال الصّحابة ثم يرجّح قول أحد منهم، كفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول بعض أشياخ بدر عن قول الله عزوجل ﴿إِذَا جَاءَ نَصرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾[1]بأن الآيات تدلّ على الحمد والاستغفار عند النّصر والفتح، بقول ابن عباس رضي الله عنهما بأن المراد منها هو الإخبار بأجلُ الرَّسول صلى الله عليه وسلم، فرجَّح عمر قول ابن عباس رضي الله عنهما[2]، وهكذا درج عهد ما بعد الصحابة، أخذوا منهم وكذا اجتهدوا فيما لم يجدوا عنهم شيئاً، ثم جاء عهد الجانب التطبيقي لهذا العلم قبل وروده كمصطلح، ومن ذلك تفسير الإمام الطّبري الذي عُرف بعرض أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين وغيرهم والموازنة بينها ومناقشة أدلتها والترجيح بينها استناداً بالأدلة والبراهين[3].

فدرج الأمر على أن كلَّ مفسر يستعرض أقوال السابقين من المفسرين، ويرجح بينها على أسس علمية منهجية صحيحة، وفيما يأتي أمثلة على ذلك:

- كما قارن ابن عطية الأندلسي أقوال العلماء بتخصيص النّعمة في تفسيره لقوله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ التي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيايَ فَارْهَبُونِ)[4] فنقل قول الطبّري: بعثة الرسل منهم، وإنزال المن والسلوى، وإنقاذهم من تعذيب آل فرعون، وتفجير الحجر"، وقال غيره: "النعمة

---

[1] سورة النصر: 1.

[2] البخاري، *الجامع الصحيح*، كتاب تفسير القرآن، رقم، 4294.

[3] السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، 207/4.

[4] سورة البقرة: 40.

هنا أن أدركهم مدة محمد صلى الله عليه وسلم"، وقال بعضهم: "أن منحهم علم التّوراة وجعلهم أهله وحملته" فانتهى ابن عطية إلى القول: "وهذه أقوال على جهة المثال، والعموم في اللفظة هو الحسن"[1].

- وكذلك فعل فخر الدين الرازي حين وازن أقوال العلماء في تعريف الفقير والمسكين في قوله تعالى:(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ التي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيايَ فَارْهَبُونِ)[2]قال: "عن جابر بن عبد الله أنّه قال: "الفقراء فقراء المهاجرين، والمساكين الذين لم يهاجروا"، وعن الحسن: "الفقير الجالس في بيته، والمسكين الذي يسعى". وعن مجاهد: "الفقير الذي لا يسأل، والمسكين الذي يسأل"، وعن الزهري: "الفقراء هم المتعفّفون الذين لا يخرجون، والمساكين الذين يسألون" ثم رجّح قول مجاهد[3].

– وقارن أبو حيان أقوال العلماء في سبب نزول سورة الطلاق في تفسيره فقال: "قال قتادة عن أنس: "سبب نزولها طلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة رضي الله عنها"، وقال السّدّي: "طلاق عبد الله بن عمرو"، وقيل: "فعل ناس مثل فعله؛ منهم عبد الله بن عمرو بن العاص، وعمرو بن سعيد بن العاص، وعتبة بن غزوان، فنزلت"، وقال القاضي أبو بكر بن العربي: "وهذا وإن لم يصح، فالقول الأول أمثل"، ثم وصل أبو حيان من هؤلاء الأقوال إلى: "أنه بيان لشرع مبتدأ"[4].

---

[1] ابن عطية، *المحرر الوجيز*، 33/1.

[2] سورة البقرة: 40.

[3] الرازي، *مفاتيح الغيب*، 88/16.

[4] محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، *البحر المحيط*، (دار الفكر، بيروت، 1420)، 195/10.

– واتبع ابن عاشور المنهج المقارن، فقارن قولين في السّورة التي نزلت بعد العلق، فقال: واختلف فيما نزل بعد سورة العلق، فقيل: "سورة ن والقلم"، وقيل: "نزل بعد العلق سورة المدثر"، ثم رجّح ابن عاشور القول الثاني فقال: "ويظهر أنه الأرجح"[1].

ثم تطور هذا المنهج إلى أن تفرّع هذا العلم إلى فصول، وأبواب، ومباحث، وعرف بمصطلح (التفسير المقارن)، وهو يعتمد على قواعد التّرجيح، وهي مقننة في كتب أصول الترجيح، ويمكن تمييز قسمين للتفسير المقارن:

- **القسم الأول: المقارنة التحليلية:** ويعني "المقارنة بين مفسرين أو أكثر في الآية، أو الآيات التي تأتي في سياق واحد أو تحت موضوع واحد"، فالباحث في هذا القسم يأتي بآراء المفسرين في آية واحدة أو آيات بأجزاء تفصيلي، من بيان معاني الآية رواية أو دراية، وذكر القراءات، وأسباب النزول، واللغة والبيان، والإعراب، وغيرها، ثم يقارن ويوازن بينهم مع ترجيح قول أحد منهم على الآخر في هذه القضية مع ذكر أسباب وأسلوب الترجيح.
- **القسم الثاني: المقارنة في المناهج:** وهي تقتضي المقارنة بين مناهج المفسرَين أو أكثر، في دراسة وافية دقيقة؛ كما قارن ابن تيمية وأبو حيان بين منهج تفسير الزّمخشري وتفسير ابن عطية فوصلا إلى أن "تفسير

[1] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 237/29.

ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص، وتفسير الزمخشري ألخص وأغوص، وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري وأصحُّ نقلاً وبحثاً وأبعد عن البدع"[1].

3.2. المبحث الثاني: بيان أوجه الاختلاف والتشابه بين التفسيرين:

كما ورد سابقاً عن التفسير بالدّراية يسمى عند العلماء بالتفسير بالرأي أو التفسير بالمعقول، لأن المفسّر في هذا النوع للقرآن يعتمد على اجتهاده ورأيه لا على المأثورات المعقولة عن الصحابة والتابعين وغيرهم، بل اعتماده يكون على اللغة العربية ومراعاة أساليبها كما استخدمها العرب، وأيضا معرفة طريقة التّخاطب لديهم وتعلم ومراعاة العلوم الضرورية التي يجب على المفسر أن يكون ملمّاً بها إذا أراد أن يفسّر القرآن، والمراد بالرأي هنا "الاجتهاد "وعليه فالتّفسير بالرأي؛ "عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشّعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر.

إذن المراد هنا هو الاجتهاد مبني على قواعد سليمة وأصول معتبرة صحيحة متبعة، التي يجب على كل من أراد الخوض في تفسير القرآن أن يأخذ بها ويتبعها، وليس مجرد الهوى، أو تفسير القرآن بالخواطر والرغبات.[2]، وعلى هذا ينقسم التفسير بالدّراية إلى قسمين:

1.تفسير محمود مشروع.

---

[1] محمد بن صالح العثيمين، *شرح مقدمة التفسير ابن تيمية*، (الرياض: دار الوطن، 1415 ه)، 121.

[2] علي الصابوني، *التبيان في علوم القرآن*، (كراتشي: مكتبة البشرى، 2011م)، 100.

2.تفسير مذموم غير مشروع.

فالتفسير المحمود المشروع هو ما وافق مراد الشارع، بعيداً كلَّ البعد عن الجهل والضلال، مراعياً لقواعد اللغة العربية، معتمداً على أساليبها، فمن اعتمد على هذه الشروط في تفسير القرآن فتفسيره محمود، أما التفسير المذموم هو أن يتناول القرآن جاهل بالعلوم المطلوبة للتصدي لآيات الله وفهمها، فمذهبه فاسد، وتفسيره محض هوى[1]، إذن التفسير المحمود ما كان صاحبه عالما وعارفا بقوانين اللغة العربية، خبيرا بأساليبه مدركا بقانون وقواعد الشريعة، والتفسير المردود المذموم ما كان منبعثاً عن الهوى، وقائماً على الجهل والضَّلال والباطل، قال القرطبي: ‘‘من قال في القرآن بما سنح في وهمه، أو خطر على باله دون أن يعتمد على الاستدلال بأصول التفسير وقواعده، فهو مخطئٌ مذمومٌ، ويُحمل عليه هذا الحديث الشريف: " مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"[2]، وقال صلى الله عليه وسلم : "مَنْ قَالَ: فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ، فَقَدْ أَخْطَأَ"[3]، ويفسر القرطبي الحديث بقولين:

أحدهما: "من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله".

ثانيهما: "من قال في القرآن قولا يعلم أن الحق غيره، فليتبوأ مقعده من النار"، ورجّح القول الثاني وقال: "هو أثبت القولين، وأصحهما معنى"، ثم قال وحديث: "جندب" _الحديث الثاني_ فقد حمل بعض أهل العلم هذا الحديث على أن الرأي معني به "الهوى"، أي: من قال قولاً في القرآن يوافق هواه، ولم يأخذه عن أئمة السّلف

---

[1] المصدر السابق: 102-103.

[2] البخاري، *الجامع الصحيح*، 110؛ مسلم، *المسند الصحيح*، برقم 5.

[3] أبو داود، *سنن أبي داود* برقم: 3652.

فأصاب، فقد أخطأ، لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله، ولا يقف على مذاهب أهل الأثر[1]، ومعنى هذا أن يسأل الرجل على معنى في كتاب الله تعالى، فيتسوّر عليه أي؛ يهجم عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء، واقتضته قوانين العلم كالنّحو والأصول، وليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغتهم، والنحويين نحوهم والفقهاء معانيه وأحكامه، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر، فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه[2].

مراتب التفسير: قسّم بعض العلماء مراتب التفسير إلى مرتبتين: مرتبة العليا، مرتبة دنيا.

فالمرتبة الأولى(العليا) لا تتحقق إلا بتوفر أمور خمسة:

1) فهم معاني الألفاظ المفردة التي أودعت في القرآن الكريم من طريق استعمالات أهل اللغة.
2) معرفة الأساليب البلاغية الرفيعة، ولا يكون ذلك إلا بممارسة الكلام البليغ.
3) العلم بأحوال البشر، ومعرفة السنن الإلهية الكونية في تقدم البشرية واختلافهم قوةً وضعفًا، وعزّاً وذلاً، وإيماناً وكفراً.
4) المعرفة بهداية البشرية من جهة القرآن، وحال العرب في زمن الجاهلية.
5) تمام الدراية بسيرة النّبي– صلى الله عليه وسلم – وأصحابه الكرام.

---

[1] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 32/1.

[2] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 33/1.

أما المرتبة الدنيا– أدنى مراتب التفسير–فهو أبين إجمالاً ما يصرف النَّفس عن الشرّ، ويدفعها إلى الخير، وذلك يمكن لكلِّ أحد[1]، كما قال عزّ وجل: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)[2].

والتفسير الإشاري بما هو تأويل القرآن على خلاف ما ظهر، وذلك بسبب إشارت خفية لا تظهر إلا لبعض أولي العلم، أو للعارفين بالله من ذوي السلوك ومجاهدة للنفس، ممن أدركوا أسرار القرآن الكريم، أو انقدحت بعض المعاني الدقيقة والخفية في أذهانهم بواسطة الإلهام الإلهي والفتح الرباني، مع إمكان الجمع بين التفسير الإشاري والمعنى الظاهر المراد من الآية، لأن التفسير الإشاري يتجه إلى معنى غير المعنى الظاهر للآية، لكنه لا يظهر لكل إنسان وإنما يظهر لمن فتح الله قلبه وأنار بصيرته، وهداه في ضمن عباده الصّالحين الطّاهرين الذين منحهم الفهم الدّقيق والإدراك السّليم، كما قال الله عزَّ وجل في قصة الخضر عليه السّلام: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا)[3]، فأرباب السلوك والفيض تفيض فيهم المعاني التي لا تظهر لسواهم من خواطر ربانية نورانية، وقد يخلط بعضهم بين الفاسد منه والصالح الذي سمي بالتفسير الإشاري، مما دعا العلماء إلى التفريق بينهما، يقول الشيخ الجليل محمد الخضر حسين: "إن أصحاب الإشارات غير من يسمونهم الباطنية، فالباطنية يصرفون الآية عن معناها المنقول أو المعقول إلى ما يوافق بغيتهم، بدعوى أن هذا هو مراد الله دونما سواه، وأما أصحاب الإشارات؛ فإنهم كما قال أبو بكر بن العربي في كتابه:" العواصم والقواصم ":"جاءوا بألفاظ الشريعة من بابها، وأقرّوها على نصابها، لكنهم زعموا أن وراءها معاني غامضة خفية وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ، فعبروا إليها بالفكر، واعتبروا منها في سبيل الذكر"، "فأصحاب الإشارات لا ينفون– كما ينفي الباطنية وأذنابهم–المعنى الذي

---

[1] السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، 2311/6.

[2] سورة القمر: 17.

[3] سورة الكهف: 65.

يدل عليه اللفظ العربي من نحو الأحكام، والقصص، والمعجزات .. وإنما يقولون: إنهم يستفيدون من وراء تلك المعاني، وعلى طريق الاعتبار، معاني فيها موعظة وذكرى، وعلى ما بين مذهبهم ومذهب الباطنية من فرق واضح ترى في أهل العلم من نازعهم في إلصاق تلك المعاني بألفاظ القرآن، بحيث إن ما جاء في صريح القرآن والسنة من مواعظ وحكم يغني عن ارتكاب هذه الطرق البعيدة، التي هي في الأصل نزعة قوم شأنهم الصّدّ عن هدى الله، وتعطيل أحكام شريعته الغرّاء.[1]

ومهما كان التفسير فإنه يوزن بميزان العربية وقواعدها، ، والشريعة الإسلامية وأصولها، و إلا فهو باطل مذموم مردود، فالقرآن ليس محلاً للهوى، وقد نقل الشاطبي عن سهل بن عبد الله في قوله تعالى :(فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً)[2]بأنها تعني: أضداداً، وأن أكبر الأضداد : النفس الأمارة بالسوء، وكذلك تأويله لقوله: (وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ)[3] بأن "الأكل لا يحمل على الحقيقة وإنما مساكنة الهمة لشيء غير الله عزّ وجلّ"، فهذه المعاني الإشارية التي ذكرت في هاتين الآيتين صحيحة في ذاتها، إذ دلَّت عليها أدلة من القرآن والسنة، لكنّ الآية التي ذكر تحتها ذلك المعنى لا تدل عليه بظاهر لفظها.

وأما تأويله لقوله تعالى :(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ[4]) بأن" باطن البيت: قلب النبي صلى الله عليه وسلم من آمن به على عقيدة التوحيد فقد اهتدى، يرى الشاطبي: أن هذا التفسير لا بدَّ له من دليل لأن هذا المعنى لم تألفه العرب، ولا من جهة المجاز، ولا يناسب سياق الآية[1].

---

[1] محمد الخضر حسين، *بلاغة القرآن*، (الكويت: دار النوادر، ط1/ 2010م)، 26-28.

[2] سورة البقرة: 22.

[3] سورة البقرة: 35.

[4] سورة آل عمران: 96.

وكذلك ما نقل عنه في تفسير قوله تعالى:(وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ)[2] فإنه "فسر الجار ذا القربى أنه القلب"، و "الجار الجنب" النفس الطبيعية، و "الصاحب بالجنب" العقل المقتدي بعمل الشرع، و "ابن السبيل" الجوارح المطيعة لله، وهذا مثال على التفسير المذموم المردود، لأن الشاطبي رأى فيه تنافياً مع خطاب العرب البيّن، ولا دليل على صحة التأويل، ولا يفهم من سياق الآيات التي ترابطت مع بعضها بعرى متينة، فمثل هذا لا يُقبل[3].

ونقل في قوله تعالى:(فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ)[4] أن "باطن النعلين هو الدنيا والآخرة"، وذكر عن الشّبلي أن معناها :"اخلع الكلّ منك؛ تصل إلينا بالكلية"، ثم علق الشاطبي بأن هذا لا يدخل فيما تفهمه من أساليب عند العرب، وادعاء لا دليل يعضده[5].

ومما سبق يتبين لنا أن التّفسير على **ثلاثة أنواع**:

النوع الأول: التفسير الظّاهري وهو الأصل.

والنوع الثاني: التّفسير الإشاري وهو تفسير بغير الظاهر مع عدم إبطال الظاهر.

والنوع الثالث: التفسير الباطني وهو التفسير بغير الظّاهر مع إبطال الظاهر أو جعله للعامة دون الخاصة.

---

[1] الشاطبي، *الموافقات*، 247/4.

[2] سورة النساء:36.

[3] الشاطبي، *الموافقات*،249/4.

[4] سورة طه: 12.

[5] الشاطبي، *الموافقات*،250/4.

وفيما يأتي مقتطفات من أقوال أهل العلم التي تشير إلى الفرق بين التفسير الإشاري المقبول والتفسير الباطني المردود، وإن كانت قد فهمت ضمناً من قبل ولكن لأهمية التفريق نسوق الآتي:

- قال الغزالي في الإحياء: "ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب ولكني أقول: "هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن، وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر، ففارق الباطنية بهذه الدقيقة، فإن هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والأبرار، إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة، بأن يعبر منها إلى التنبّه لكونه أيضاً عرضة للمصائب"[1].

- وقال السيوطي: "فلا يصدّنّك عن تلقّي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة: "هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا: "لا معنى للآية إلا هذا وهم لم يقولوا ذلك بل يقرون الظّواهر على ظواهرها، ويفهمون عن الله تعالى ما أفهمهم[2].

- وقال التفتازاني في شرحه على النّسفية: "سميت الملاحدة باطنية لادّعائهم أن النّصوص ليست على ظاهرها بل لها معان باطنية لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكليّة، قال: "وأما ما يذهب إليه

---

[1] محمد بن محمد الغزالي، *إحياء علوم الدين*، (بيروت: دار المعرفة)، 49/1.

[2] السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، 488/2.

بعض المحققين من أن النّصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان"[1].

- وقال الزرقاني في مناهل العرفان: "ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصّوفية المسمى بالتفسير الإشاري، وبين تفسير الباطنية الملاحدة فالصّوفية لا يمنعون إرادة الظَّاهر بل يحضُّون عليه، ويقولون:" لا بد منه أولاً إذ من ادّعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظَّاهر كمن ادَّعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب، وأمّا الباطنية فإنهم يقولون إن الظّاهر غير مراد أصلاً، وإنما المراد الباطن وقصدهم نفي الشريعة[2].

- وقال ابن عاشور: "وعندي إن هذه الإشارات لا تعدو واحداً من ثلاثة أنحاء:

الأول: ما يجري فيه معنى الآية مجرى التّمثيل لحال شبيه بذلك المعنى، كما يقولون مثلاً: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ)[3]، أنه إشارة للقلوب لأنها مواضع الخضوع لله تعالى، إذ بها يعرف، فتسجد له القلوب بفناء النفوس، ومنعها من ذكره هو الحيلولة بينها وبين المعارف اللدنية، وسعيٌ في خرابها بتكديرها بالتعصبات وغلبة الهوى.

---

[1] السيوطي، *الاتقان*، 485/2.

[2] محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3)، 79/2.

[3] سورة البقرة: 114.

الثاني: ما كان من نحو التّفاؤل، فقد يكون للكلمة معنى يسبق من صورتها إلى السّمع هو غير معناها المراد، وذلك من باب انصراف ذهن السّامع إلى ما هو المهم عنده، والذي يجول في خاطره، وهذا كمن قال في قوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ)[1] يقول: "من ذل أذي إشارة للنفس يصير من المقربين للشفعاء، فهذا يأخذ صدى موقع الكلام في السمع ويتأوله على ما شغل به قلبه.

الثالث: عبر ومواعظ وشأن أهل النفوس اليقظة أن ينتفعوا من كل شيء ويأخذوا الحكمة حيث وجدوها، فما ظنك بهم إذا قرأوا القرآن وتدبروه فاتعظوا بمواعظه فإذا أخذوا من قوله تعالى:(فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا)[2] اقتبسوا أن القلب الذي لم يمتثل رسول المعارف العليا تكون عاقبته وبالاً.

وكل إشارة خرجت عن حدِّ هذه الأحوال الثلاثة إلى ما عداها فهي تقترب إلى قول الباطنية رويداً رويداً إلى أن تبلغ عين مقالاتهم[3].

بعد تبيان مفهومي التفسير بالدّراية والتفسير بالإشارة، نشير إلى ما بينهما من فروق ومتشابهات فيما يأتي:

3.3.1. المطلب الأول: أوجه الاختلاف بينهما.

أوجه الاختلاف بين التفسيرين أن التفسير بالرأي يعتمد على علوم اللغة تماماً في بيان معنى الكلمات، ثم يقوم المفسر بإبداء رأيه، فلا يوجد رأي (الرأي المحمود) إلا وهو موافق للمعنى الظاهر للآية، أي: أن المفسر يتعامل مع الكلمات والجمل بالظاهر وحسب ما تقتضيه اللغة، وبالمقابل أن المفسّر للتفسير الإشاري يعتمد على ظاهر المعنى

---

[1] سورة البقرة: 255.

[2] سورة المزمل: 16.

[3] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 1/35-37.

للآية، لكن مع ذلك يأتي بالإشارات لذلك النّص مع مراعاة تامة لكي يكون تأويله موافقاً للمعنى الظاهر للنَّص، أو على الأقلّ يحاول أن لا يكون التّأويل مخالفاً أو متناقضاً للمعنى الظَّاهر، والمفسّر هنا لا يأتي بتأويلاته على الهوى، إنما يكون تأويله على بصيرة، أي: أن تلك الإشارات إلهامات يقذفها الله في قلوب عباده، فالفرق بين التفسير بالرأي الذي مصدره العقل والإدراك، والتفسير الإشاري الذي مصدره الإلهام في قلوب عباده الصالحين الأخيار، فالمراد بالرَّأي هنا "الاجتهاد "وعليه فالتّفسير بالرَّأي تفسير للقرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشّعر الجاهليّ، ووقوفه على أسباب النّزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر، بينما في التفسير الإشاري الإحالة على الإشارت الخفية التي لا تظهر إلا لبعض ذوي العلم، أو للعارفين بالله من ذوي السّلوك والمجاهد للنفس، الذين نور الله قلوبهم وبصائرهم، فأدركوا أسرار القرآن الكريم، أو انقدحت بعض المعاني الدقيقة والخفية في أذهانهم بواسطة الإلهام الإلهي والفتح الرباني، مع إمكان الجمع بين التفسيرين.

3.3.2. المطلب الثاني: اوجه التشابه بينهما.

أوجه التشابه بينهما أن كلا التفسيرين المراد منهما بيان معاني القرآن الكريم وإبراز المراد من تلك المعاني، وأن التفسيرين لهما وجه مقبول ووجه مردود كما ورد سابقاً، ولكلّ من التفسيرين شروط وضوابط على المفسر مراعاتها ليقبل تفسيره، وعلى المفسر في كلا المنهجين أن يبذل جهده تمام البذل، ويستقصي، ويتحقق حتى يكون تفسيره صحيحاً وسليماً ومقبولاً غير مردود، ومن أهم الشروط التي يجب توافرها في التفسير عند تفسير القرآن سواء كان التفسير بالدّراية أو بالإشارة هو: "موافقة التفسير لروح الشريعة ومقاصدها، والمعيار الوحيد لقبول التفسير هو موافقته لمقاصد الشريعة وفلسفتها".

أما حول تفسير كلمة "الاعتصام" في التفسيرين، والذي يبدو لنا من أقوال المفسرين في كلا المنهجين أنهما قد اتفقوا على المعنى الظَّاهر للكلمة وهو: " الاستمساك واللجوء والمنع "، وكما قال الرازي–رحمه الله–: (وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [1]المعنى: ومن يتمسك بدين الله، ويجوز أن يكون حثاً لهم على الالتجاء إليه في دفع شرور الكفار، والاعتصام في اللغة الاستمساك بالشيء وأصله من العصمة، والعصمة المنع في كلام العرب، والعاصم المانع، واعتصم فلان بالشيء إذا تمسك بالشيء في منع نفسه من الوقوع في آفة، ومنه قوله تعالى: (وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ) [2].[3]، وفسرها القشيري –رحمه الله– : " يحفظ ظاهرك من أن يمسّك أذاهم، فلا يتسلط بعد هذا عليك عدوّ، أو يصون سرّك عنهم حتى لا يقع عليه احتشام منهم"، ويقال: "يعصمك من النَّاس حتى لا تغرق في بحر التَّوهم بل تشاهدهم كما هم وجوداً بين طرفي العدم"[4].

"واعتصموا بالله" ثقوا به أو تمسكوا بدينه، ويعتصم بالله: يجعله منعته وملجأه، ويخلص دينه لله تعالى[5].وقوله تعالى: "وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ"، أن الله تعالى وعده ألا يبتليه كسائر الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام[6]، نلاحظ أنه رغم اختلاف التفاسير لم يخرج التفسيران عن الإطار العام لمادة(عصم)كما هي مفهومة عند العرب.

---

[1] سورة آل عمران: 101.

[2] سورة يوسف: 32.

[3] الرازي، *التفسير الكبير*، 309/8؛ الزمخشري، *الكشاف*، 393/1.

[4] القشيري، *لطائف الإشارات*، 438/1.

[5] ابن عطية، *المحرر الوجيز*، 128/2؛ البيضاوي، *أنوار التنزيل*، 106/2.

[6] سهل التستري، *تفسير التستري*، 59/1.

خاتمة

في نهاية رحلة البحث مع أئمة التفسير أعرض أهم النّقاط التي توصلت إليها هذه الدراسة:

1- إن دلالات آيات القرآن ومقاصدها ذات أفانين عدة، موزعة على آياته، فأحكام المشرّع مبينة في آيات الأحكام، والآداب المستحبة في آياتها، ورواية القصص في أماكنها من القرآن، وكذلك أسس العقيدة، وربما احتوت الآية الواحدة على فنّين أو أكثر، ولكل نوع من التفسير فن يتبعه.

2- من فضائل علم التفسير وأهله أنه يهدي صاحبه إلى الصراط المستقيم ويعصمه من الضّلالة، ويرشده إلى مراد الله.

3- أن القرآن منذ القرون الأولى تمَّ تفسيره بأساليب مختلفة ومناهج متنوعة.

4- كلما تدبّر الإنسان القرآن يذوق حلاوة الفهم والفقه الدقيق، ويرى أن معاني القرآن ودلالاته لا تكشف إلا لمن تمسك بأصول وقواعد التي يسترشد بها إلى المعنى المراد.

5- حينما نبحث ونتابع وندرس يظهر لنا جلالة ودقّة وعلميّة علماء التفسير، ونعرف مدى إخلاصهم لكتاب الله تعالى، وفهمهم الدقيق لمدلولاته.

6- التفاسير للقرآن كلها ليست على نهج واحد، بل لكل مفسر أسلوب ومنهج متبع يسير عليها، لذلك علينا أن نعرف ذلك المنهج الذي سلكه المفسر معرفة كافية، ثم ننظر إلى تأويلاته وآرائه لنكون على بصيرة، لكي لانرد آرائهم بغير علم.

7- مع أن المصطلحات متنوعة، وذات دلالة لأنواع التفسير لكن جميع المفسرين المعتبرين عند أهل العلم كلهم سلك منهجه واستخدم أساليبه لخدمة القرآن وتوضيح وبيان معانيها للآخرين.

8- أن كلمة " الاعتصام" في كلا التفسيرين: التفسير الإشاري والتفسير بالدّراية، كان معناها قريباً فيما بين التفسيرين.

9- أن التفسير الإشاري والتفسير بالرأي كلاهما مقبول عند العلماء مادام المفسر مقيداً بشروط القبول، ومحترزاً عن الخرافات والبدع أثناء التفسير.

10- أن المقارنة بين التفسيرين أو أكثر لا تتحقق إلا بعد مراعاة أسسها وضوابطها.

11- لو نظرنا نظراً عميقاً وتدبرنا تدبراً دقيقاً نجد أن آراء المفسرين–ولو كان منهجهم مختلفاً– تتفق وتتلاقى وتتشابه فيما بينها، وأنّ أوجه التشابه أكثر من الاختلاف.

توصيات:

أوصي إخواني من طلبة الدّراسات العليا أن يعتنوا بدارسة تفسير القرآن وما يتعلق به من قضايا، والمقارنة بين التّفاسير ومناهج المفسرين وأساليبهم، فتفسير القرآن يقتضي القواعد والضّوابط، كما يجب للمفسّر أن يتعرّف على مناهج السابقين في التفسير، حتى يكون فهمه صحيحاً وتفسيره دقيقاً، وخاصّة أننا في عصر كثرت فيه الأقاويل عن مقصود الشارع من الآيات القرآنية.

وكذلك أوصي طلبة قسم التفسير بالعناية بالدراسات المقارنة بين مناهج التفاسير فما التقت فيه التفاسير على معنى كان أقرب إلى مراد الله من خلقه.

وآخر دعوانا أن الحمدالله رب العالمين، وسلام على المرسلين.

الفهارس العلميّة:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

(فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً)**[سورة البقرة: 22]** 53

(وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ) **[سورة البقرة: 35]** 53

(وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) **[سورة البقرة: 40]** 30-46-47

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) **[سورة البقرة:114]** 56

(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ)**[سورة البقرة: 255]** 57

(وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ)[**سورة البقرة: 282]** 36-38

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ) **[سورة آل عمران: 96]** 53

(إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ)**[سورة آل عمران: 100]** 28

(وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ .....) **[سورة آل عمران: 101]** ... 3-13-23-24-28-33-59

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) **[سورة آل عمران: 103]** 13-30

(إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ) **[سورة آل عمران: 112]** 30

(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) **[سورة آل عمران: 139]** 3

(وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ) **[سورة النساء: 36]** 54

(وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) **[سورة النساء: 141]** 2

(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ) **[سورة النساء: 145–146]** 24-31

(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ) **[سورة النساء: 165]** 31

(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ ...) **[سورة النساء: 165]** 3-24

(يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ)**[سورة المائدة: 16]** 29

(وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) **[سورة المائدة: 67]** 26-33-34-36

(وعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ) **[سورة الأنعام: 59]** 6

(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)**[سورة الأنعام: 82]** 6

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ).**[سورة التوبة: 115]** 4

(مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) **[سورة يونس: 27]** 25

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا...) **[سورة هود: 15]** 15

(أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ...) **[سورة هود: 16]** 16

(قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ) **[سورة هود: 43]** 11-26-35

(وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ)**[سورة يوسف: 32]** 13-27-29-59

(الر* كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ.....) **[سورة إبراهيم: 1]** 3

(فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ...)**[سورة الكهف: 56]** 52

(فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ) **[سورة مريم: 29]** 19

(فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ) **[سورة طه: 12]** 54

(فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ)**[سورة الأنبياء: 79]** 10

(وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) **[سورة الحج: 78]** 12-25-32-34

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ...)**[سورة النور: 55]** 2

(إن الشرك لظلم عظيم) **[سورة لقمان: 13]** 7

(إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ...) **[سورة لقمان: 34]** 6

(قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً) **[سورة الأحزاب: 17]** 27

(يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) **[سورة غافر: 33]** 26

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ...) **[سورة فصلت: 53]** 16

(وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا **.....)** **[سورة الشورى: 52-53]** 4

(وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ)**[سورة الأحقاف: 9]** 33

(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)**[سورة القمر: 17]** 52

(هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ .....) **[سورة الحديد: 9]** 4

(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) **[سورة المنافقون: 8]** 2

(فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا **.....)** **[سورة الطلاق: 10-11]** 4

(فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا) **[سورة المزمل:16]** 57

(وَفَاكِهَةً وَأَبًّا) **[سورة عبس: 31]** 37

(وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا) **[سورة العاديات: 1]** 45

﴿إِذَا جَاءَ نَصرُ ٱللهِ وَٱلفَتحُ﴾ **[سورة النصر: 1]** 46

ثانياً: فهرس الأحاديث النَّبويَّة

- (اتّقوا الحديثَ عنّي إلا ما علمتم فمن كذب عليَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار) 16-65
- (مفاتح الغيب خمسة) 6
- (مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ، فَقَدْ أَخْطَأَ) 50
- (وأيُّنا لم يظلم نفسه) 6
- (وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله) 3
- (ومن قالَ في القرآنِ برأيهِ فليتبوّأ مقعده من النّار) 16-37-50

ثالثاً: المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد، *جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم*. مح. عبد القادر الأرناؤوط. مكتبة الحلواني، ط1/ 1969.

- ابن الأثير، المبارك بن محمد. *النهاية في غريب الحديث والأثر*. مح: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية. 1399هـ - 1979م.

- *ابن الجوزي*،عبد الرحمن بن علي بن محمد. *زاد المسير في علم التفسير*. مح: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار الكتاب العربي. ط1. 1422 هـ.

- ابن دريد، محمد بن الحسن. *جمهرة اللغة*. مح: رمزي منير بعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين. ط1. 1987م.

- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. *التحرير والتنوير*" . تونس: الدار التونسية. 1984هـ.

- *ابن عثيمين، محمد بن صالح. شرح مقدمة التفسير ابن تيمية*. الرياض: دار الوطن.

- *ابن عربي. رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن*. د.م، د.ت.

- *ابن عطية*، عبد الحق بن غالب. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. مح: عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1. 1422 هـ.

-*ابن فارس*، أحمد بن فارس بن زكريا. *معجم مقاييس اللغة*. مح: عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر. 1399هـ - 1979م.

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، *تفسير القرآن العظيم*. السعودية: دار طيبة، ط1999/2.

- ابن منظور. *لسان العرب*. مح: عبد الله علي الكبير وآخرون. القاهرة: دار المعارف.

- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. *البحر المحيط*. بيروت: دار الفكر. 1420 هـ.

-*أبو زهرة*، محمد بن أحمد. *زهرة التفاسير*. بيروت: دار الفكر العربي. د.ت.

- الأصبحي، مالك بن أنس. *موطأ الإمام مالك*. مح: بشار عواد معروف. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1412 هـ.

- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. مح: علي عبد الباري عطية. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1. 1415 هـ.

- أيوب، حسن محمد. *الحديث في علوم القرآن والحديث*. الإسكندرية: دار السلام. ط2. 1425هـ - 2004م.

- البخاري، محمد بن إسماعيل. *صحيح البخاري*. كتاب: فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف. بيروت: دار طوق النجاة. 1422 هـ.

- البقاعي، إبراهيم بن عمر. *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

– البيضاوي، عبد الله بن عمر. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. مح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1. 1418 هـ.

– الترمذي، محمد بن عيسى. *سنن الترمذي*. مح: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1998 م.

– التُستري، سهل بن عبد الله. *تفسير التستري*. جمعها: أبو بكر محمد البلدي. بيروت: دارالكتب العلمية. ط1. 1423 هـ.

– التكريتي، سليمان نصيف، *تفسير القرآن الكريم على الطريقة الصوفية*. جامعة القاهرة: مكتبة دار العلوم، رسالة ماجستير، 1975.

– الحاكم، محمد بن عبد الله. المستدرك على الصحيحين. بيروت: دار الكتب العلمية، 1411.

– حسين، محمد الخضر. *بلاغة القرآن*. الكويت: دار النوادر، ط1. 2010م.

– الخازن، علاء الدين علي بن محمد. *لباب التأويل في معاني التنزيل*. تصحيح: محمد علي شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1. 1415 هـ.

– الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى. *روح البيان*. بيروت: دار الفكر.

– الذهبي، محمد السيد حسين. *التفسير والمفسرون*. القاهرة: مكتبة وهبة. 2005م.

– الرازي، محمد بن عمر. *مفاتيح الغيب*. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط3. 1420 هـ.

- الرضائي، محمّد علي. *دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة*. د.م، د.ت.

- الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم. *مناهل العرفان في علوم القرآن*. مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3.

- الزفري، حامد محمود. *محيي الدين ابن عربي مفسراً*. القاهرة: جامعة الأزهر، مكتبة كلية أصول الدين، رسالة دكتوراه، 1972م.

- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. بيروت: دار الكتاب العربي. ط3. 1407 هـ.

- السيوطي، جلال الدين. *الإتقان في علوم القرآن*. مح: محمد منصور، القاهرة: دار التراث، 2010م.

- الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي. *الموافقات*. مح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. د.م: دار ابن عفان. ط1. 1417هـ-1997م.

- الشريف الجرجاني، علي بن محمد. *التعريفات*. مح: جماعة من العلماء. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1. 1403هـ-1983م.

- الشعراوي، محمد متولي. *تفسير الشعراوي – الخواطر*. مصر: مطابع أخبار اليوم.

- الصابوني، محمد علي. *التبيان في علوم القرآن*. كراتشي: مكتبة البشرى، 1432هـ-2011م.

- طنطاوي، محمد سيد. *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. ط1.

- الطيار، مساعد بن سليمان. *فصول في أصول التفسير*. السعودية: دار ابن الجوزي. ط2. 1423هـ.

- عبد التواب، حسن. *التفسير الصوفي للقرآن*. القاهرة: جامعة الأزهر، مكتبة أصول الدين، 1972.

- عبد السميع، علي. التيسير *في أصول واتجاهات التفسير*. الإسكندرية: دار الإيمان. 2006م.

- عبد الفتاح، لؤي. *الوجيز في مناهج البحث العلمي وتقنياته*. *المغرب*: مكتبة القادسية. 2012.

- عبد المنعم، محمود عبد الرحمن. *معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية*. مصر: دار الفضيلة.

- عليان، ربحي مصطفى. *مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية* والتطبيق. عمان: دار صفاء، ط1/2000م.

- العليمي، مجير الدين بن محمد. *فتح الرحمن في تفسير القرآن*. مح: نور الدين طالب. الكويت: دار النوادر. ط1. 1430 هـ - 2009 م.

- عمر، أحمد مختار عبد الحميد. *معجم اللغة العربية المعاصرة*. د.م: عالم الكتب. ط1. 1429هـ - 2008 م.

- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. *إحياء علوم الدين*. بيروت: دار المعرفة.

- الفارابي، إسماعيل بن حماد الجوهري. *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. مح: أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين. ط4. 1407 هـ- 1987 م.

-*الفراهيدي*، الخليل بن أحمد. *كتاب العين*. مح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. د.م: دار ومكتبة الهلال.

- فرحات، أحمد حسين. *في علوم القرآن*. القاهرة: دار عمار. 2001 م.

- القرطبي، محمد بن أحمد. *الجامع لأحكام القرآن*. مح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية. ط2. 1384هـ - 1964 م.

- القرعاوي، سليمان بن صالح. *مصطلحات علوم القرآن عرض وتحليل واستدراك*. د.ن. 1428هـ.

- القشيري، عبد الكريم بن هوازن. *لطائف الإشارات*. مح: إبراهيم البسيوني. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الكومي، أحمد السيد علي. *التفسير الموضوعي*. القاهرة. 1982.

- محمد رشيد بن علي رضا. *تفسير المنار*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1990 م.

- المشني، مصطفى إبراهيم. *التفسير المقارن دراسة تأصيلية*. الأردن: مجلة الشريعة والقانون. العدد: 26. 1427 هـ- 2006 م.

– النسائي، أحمد بن شعيب. *السنن الكبرى*. مح: حسن عبد المنعم شلبي. بيروت: مؤسسة الرسالة.1/ 7. 1421 هـ-2001 م.

– النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد القمي. *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*. مح: الشيخ زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1. 1416هـ.

– *الهرري*، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي. *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*. إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي. بيروت: دار طوق النجاة، ط1. 1421هـ -2001م.

– الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري. *تهذيب اللغة*. مح: محمد عوض مرعب. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط1. 2001م.

– الواحدي، علي بن أحمد. *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. مح: صفوان عدنان داوودي. بيروت: دار القلم. ط1. 1415 هـ.